

الإيمان والعمل الصالح

دراسة تحليليَّة

إعداد

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النُّقيلي

الإيمان والعمل الصالح

دراسة تحليليَّة

إعداد

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النُّقيلي



يا ناظرًا فيمَا عمدتُ لجمعـــــــهِ * عذرًا فإنَّ أخَا البصيرةِ يعـــــــذرُ

واعلمْ بأنَّ المرءَ لوْ بلغَ المـــدَى * في العُمرِ لاقَى الموتَ وهوَ مقصِّرُ

فإذا ظفرتَ بزلَّةٍ فافْتحْ لـــــــهَا * بابَ التَّجاوزِ فالتَّجاوزُ أجــــدرُ

ومنَ المحالِ بأن نرَى أحدًا حوَى *كُنهَ الكَمالِ وذَا هوَ المتعــــــذِّرُ[1]

---

(1) عَلَمُ الدِّينِ الْقَاسِمُ بْنُ أَحْمَدَ الأَنْدَلُسِيُّ، كتاب "أسنى المقاصد وأعذب الموارد".

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: 25].

مقدِّمةٌ

إنَّ الحمدَ للهِ

نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونعوذُ باللهِ منْ شرورِ أنفسنَا ومنْ سيِّئاتِ أعمالنَا، منْ يهدهِ اللهُ فلَا مضلَّ لهُ ومنْ يضللْ فلَا هاديَ لهُ، وأشهدُ أنَّ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وحدهُ لَا شريكَ لهُ وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسولهُ ﷺ.

{يَاأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقّ تُقَاتِهِ وَلَاتَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}[آل عمران: 102].

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَّنِسَاءً وَّاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُون بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُم رَقِيبًا}[النساء: 1].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم وَيَغْفِرْلَكُم ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُّطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}[الأحزاب: 70 – 71].

أمَّا بعدُ: "فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالَى، وخيرُ الهدي هديُ محمَّدٍ ﷺ، وشرُّ الأمورِ محدثاتهَا، وكلَّ محدثةٍ بدعةٍ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ، وكلَّ ضلالةٍ فِي النَّارِ[1].

---

(1) أما بعدُ فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وإنَّ أفضلَ الهديِ هديُ محمدٍ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها، وكلَّ مُحدَثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ أتتْكم الساعةُ بغتةً – بُعِثتُ أنا والساعةُ هكذا – صبحَتْكم الساعةُ ومستْكم – أنا أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسِه – من ترك مالًا فلأهلِه – ومن ترك دَيْنا أو ضَياعًا فإليَّ وعليَّ – وأنا وليُّ المؤمنين.

الراوي: جابر بن عبدالله، المصدر: صحيح الجامع، الرقم: 1353.

التخريج: أخرجه النسائي في (المجتبى) (3/ 188)، وأحمد (3/ 310) باختلاف يسير.

فهذا بحث بسيط، يحكي موضوعان مهمّان وهما: الإيمان، والعمل الصالح، فعرفت فيه الإيمان لغة واصطلاحا، وذكرت أركان الإيمان، وفصَّلت كلَّ ركن بإيجاز، وبه كذلك العمل الصالح، وذكرت شروطه، ثمَّ علاقة الإيمان بالعمل الصالح، وأسأل الله تعالى أن تكون هذه الدراسة ذات فائدة للمسلمين، وأن يجعل هذه الكتابة خالصة لوجهه الكريم، هذا وبالله التوفيق وصلى الله على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله ربِّ العلمين.

وكتب

الدكتور: عصام الدين إبراهيم النُّقيلي

{الإيمان والعمل الصالح}

قدْ ذكرَ اللهُ سبحانه وتعالَى الإيمانَ والعملَ الصَّالحَ فِي القرآنِ في مواضعَ كثيرةٍ، وبيَّنَ سبحانهُ التَّلازمَ بينَ الإيمانِ والعملِ وأنَّ شرطَ الإيمانِ هوَ العملُ بمقتضاهُ فقالَ سبحانهُ:

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة: 25].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة: 82].

وقال جلَّ من قائل: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[البقرة: 277].

وقال سبحانه وتعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[آل عمران: 57].

وقال عزَّ وجل: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}[النساء: 57].

وقال عزَّ من قائل: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا}[النساء: 122].

وقال سبحانه: {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا}[النساء: 173].

وقال سبحانه وتعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}[المائدة: 9].

فهذا تلازمٌ وتناغمٌ بيِّنٌ واضحٌ بين الإيمان والعمل الصالح، فما معنى الإيمان؟ وما معنى العمل الصالح؟ وما العلاقة بينهما؟

هذا ما سنتاوله في هذه الدراسة.

{الإيمان}

الإيمانُ لغةً:

الإيمانُ مصدرُ فعلٍ رباعيٍّ منْ آمنَ وأصلهُ أأمنَ، وأعلَّتِ الهمزةُ الثَّانيةُ بالقلبِ ألفًا؛ لكونهَا ساكنةً والتِي قبلهَا متحرِّكةٌ بالفتحِ، وهوَ أصلٌ يدلُّ علَى معنيينِ:

الأوَّلُ: إعطاءُ الأمنِ والأمانِ والطمأنينةِ، الذِي هوَ ضدُّ الخوفِ، وآمَنْتُهُ ضدّ أخَفْتُهُ.

والثَّانِي: التَّصديقُ الذِي هوَ ضدُّ التَّكذيبِ.

وإذَا قالَ العبدُ: آمنتُ باللهِ تعالَى ربًا، أي: صدَّقتُ بهِ، واطمأننتُ لأمرهِ.

فالإيمانُ فِي اللُّغةِ يرادُ بهِ معنيانِ، يظهرُ معناهمَا بحسبِ السِّياقِ وهمَا: الأمنُ وضدُّهُ الخوفُ، والتَّصديقُ وضدُّهُ التَّكذيبُ، والمعنيانِ متداخلانِ[1].

ويرَى ابنُ تيميةَ أنَّ الإيمانَ بمعنَى الإقرارِ؛ فيقولُ: ومعلومٌ أنَّ الإيمانَ هوَ الإقرارُ؛ لَا مجرَّدُ التَّصديقُ، والإقرارُ ضمنَ قولِ القلبِ الذِي هوَ التَّصديقُ، وعملِ القلبِ الذِي هوَ الانقيادُ[2].

---

(1) انظر: الصحاح، الجوهري، ٥/٢٠٧١، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص١٥١٨، لسان العرب، ابن منظور، ٢١/١٣، المفردات، الأصفهاني، ص ٩٠.

(2) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٩١/٧، الإيمان، حقيقته، خوارمه، نواقضه، عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد، ص١٩، ٢١.

الإيمانُ اصطلاحًا:

الإيمانُ: التَّصديقُ الجازمُ، والاعترافُ التَّامُ بجميعِ مَا أخبرَ اللهُ ورسولهُ عنهُ فِي القرآنِ والسنَّةِ، وأمرَ بالإيمانِ بهِ، والانقياد لهُ ظاهرًا وباطنًا[1].

فهوَ قولٌ وعملٌ واعتقادٌ يزيدُ بالطَّاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ[2]، ويشملُ عقائدَ الإيمانِ، وأخلاقهِ، وأعمالهِ[3].

وهوَ تصديقُ القلبِ واعتقادهُ، المتضمِّنُ لأعمالِ القلوبِ، وأعمالِ البدنِ، وذلكَ شاملٌ للقيامِ بالدِّينِ كلِّهِ؛ ولهذَا كانَ الأئمَّةُ والسَّلفُ يقولونَ: الإيمانُ قولُ القلبِ واللِّسانِ، وعملُ القلبِ واللِّسانِ والجوارحِ[4].

وعلَى هذَا يكونُ معنَى الإيمانِ شرعًا هوَ: الاعتقادُ الجازمُ بوجودِ اللهِ وأولوهيَّتهِ وربوبيَّتهِ وأسمائهِ وصفاتهِ، والاعتقادُ الجازمُ بوجود ملائكتهِ، وكتبهِ، ورسلهِ واتِّباعهمْ فِي مَا جاؤوا بهِ منَ الحقِّ، والاعتقادُ الجازمُ بوجودِ اليومِ الآخرِ، والقدرِ خيرهِ وشرِّهِ، وأنَّ هذَا الإيمانَ هوَ قولٌ باللِّسانِ، واعتقادٌ بالجَنانِ أي: القلبِ، وعملٌ بالجوارحِ، يزيدُ بالطَّاعةِ وينقُصُ بالعِصيانِ.

---

(1) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي، ص٤١.

(2) انظر: العقيدة الواسطية، ابن تيمية ص١٦١.

(3) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، السعدي، ص٤١.

(4) انظر: الإيمان، ابن تيمية، ص١٣٧.

أدلَّةُ زيادةِ الإيمانِ ونقصانه فِي القرآن:

قولهُ تعالَى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا}[الأنفال: 2].

وقالَ جلَّ جلالهُ: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}[المدثر: 31].

وقالَ جلَّ وعلَا: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}[الفتح: 4].

وقالَ سبحانهُ وتعالَى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ}[التوبة: 124 – 125].

وأمَّا أدلَّةُ أنَّ الإيمانَ قولٌ واعتقادٌ وعملٌ:

هوَ اقترانُ العملِ بالإيمانِ فِي الآياتِ السَّابقِ ذكرهَا في الباب: مثل قوله تعالى:

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا}[البقرة: 25].

وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ}[البقرة: 82].

وقوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ}[آل عمران: 57].

وقوله سبحانه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}[المائدة: 9].

ومنَ الأثرِ مَا رواهُ عبدُ اللهِ بنِ عمرَ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ: "لا يُقبلُ إيمانٌ بلا عملٍ، ولَا عملٌ بلَا إيمانٍ"[1].

وعنهُ ﷺ فِي حديثٍ مرسلٍ: "الإيمانُ باللهِ والعملُ قرينانِ، لَا يصلحُ واحدٌ منهمَا إلَّا معَ صاحبهِ[2].

---

(1) أخرجهُ السيوطي في الجامع الصغير 9962 وحكم عليه بالحسن، وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: في إسناده سعيد بن زكريا واختلف في ثقته وجرحه، وضعَّفهُ الألباني في ضعف الجامعِ، وكلُّ الأئمَّةِ موافقونَ علَى معناهُ.

(2) رواه العدني في ((الإيمان)) (ص: 79). قال الألباني في ((السلسلة الضعيفة)) (2245):هذا إسناد ضعيف لإرساله.

وبوَّبَ عليهِ الحافظُ محمَّدُ بنُ يحيىَ بنِ أبِي عمرَ العدنِي فِي كتابهِ (الإيمان): بابَ ملازمةِ العملِ للإيمانِ.

ونصَّ علَى مضمونهِ عددٌ منْ أئمَّةِ أهلِ السنَّةِ فِي عقائدهِمْ:

منهمُ الإمامُ المزنِي رحمهُ اللهُ تعالَى، قالَ: والإيمانُ قولٌ وعملٌ معَ اعتقادهِ بالجنانِ، وقولٌ باللِّسانِ، وعملٌ بالجوارحِ والأركانِ، وهمَا سيَّانِ ونظامانِ وقرينانِ لَا نفرِّقُ بينهمَا، لَا إيمانَ إلَّا بعملٍ، ولَا عملَ إلَّا بإيمانٍ[1].

وقالَ أبُو طالبٍ المكِّي: الإيمانُ والعملُ قرينانِ، لَا ينفعُ أحدهمَا بدونِ صاحبهِ.

وقالَ ابنُ أبِي زمنينَ: والإيمانُ باللهِ هوَ باللِّسانِ والقلبِ، وتصديقُ ذلكَ العملُ.

فالقولُ والعملُ قرينانِ لَا يقومُ أحدهمَا إلَّا بصاحبهِ[2][3].

وأُثرَ عنِ الحسنِ البصرِي أنَّهُ قالَ: "ليسَ الإيمانُ بالتمنِّي ولَا بالتحلِّي، ولكنَّهُ مَا وقرَ فِي القلوبِ وصدَّقتهُ الأعمالُ"[4].

ودليلُ وجوبِ الإيمانِ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ والقدرِ خيرهِ وشرِّهِ:

حديثُ جبريلَ ﷺ المعروفِ، وفيهِ: قال: "... أخبرنِي عنِ الإيمانِ" قالَ: "أنْ تؤمنَ باللهِ، وملائكتهِ، وكتبهِ، ورسلهِ، واليومِ الآخرِ، وتؤمنَ بالقدرِ خيرهِ وشرِّهِ[5].

وهذهِ هيَ أركانُ الإيمانِ الستَّةِ، التِي لَا يتحقَّقُ الإيمانُ إلَّا بهَا، وأوَّلهَا الإيمانُ باللهِ تعالَى.

---

(1) ((شرح السنة)) للمزني (ص: 78).

(2) ((رياض الجنة بتخريج أصول السنة)) لابن أبي زمنين (ص: 207).

(3) المصدر: براءة أهل الحديث والسنة من بدعة المرجئة لمحمد بن سعيد الكثيري – ص: 98.

(4) رواه ابن تيمية والسيوطي مقطوعا عن الحسن البصري إلَّا أنَّ سندهُ للحسن البصري واهٍ ومعناهُ صحيحٌ.

(5) رواه مسلم 1.

أركان الإيمان:

1) الإيمانُ باللهِ تعالَى:

الأوَّلُ: الإيمانُ باللهِ تعالَى وهوَ: الاعتقاد الجازمُ بوجودِ اللهِ تعالَى، وربوبيتهِ، وألوهيتهِ، وأسمائه وصفاتهِ، وتوحيدهُ في ذلك، وهذهِ الأمورُ الأربعةُ، منْ آمنَ بهَا قولًا وتصدِيقًا وعملًا فهوَ المؤمنُ حقًّا، لأنَّ مَا يندرجُ تحتهَا ممَّا سيأتِي هوَ منْ مقتضياتهَا.

(أ) الأوَّلُ: الإيمانُ بوجودِ اللهِ تعالَى:

ووجودُ اللهِ تعالَى قدْ دلَّ عليهِ العقلُ والفطرةُ، فضلاً عنِ الأدَّلةِ الشَّرعيَّةِ الكثيرةِ التِي تدلُّ علَى ذلكَ، فلَا نطيلُ فيهِ الكلامَ.

(ب) ثانيًا: الإيمانُ بربوبيتهِ تعالَى:

وهوَ إفرادُ اللهِ سبحانهُ بمَا يختصُّ بهِ منَ الرُّبوبيَّةِ، أي: بأنَّهُ وحدهُ الرَّبُّ لَا شريكَ لهُ ولَا معينَ.

والرَّبُّ لغةً:

قالَ ابنُ منظورٍ: الرَّبُّ يطلقُ فِي اللُّغةِ علَى المالكِ، والسَّيدِ، والمدبِّرِ، والمربِي، والقيِّمِ، والمنعمِ[1].

والرَّبُّ شرعًا:

هوَ منْ لهُ الخلقُ، والملكُ، والتَّدبيرُ، فلَا خالقَ إلَّا اللهُ، ولَا مالكَ إلَّا اللهُ، ولَا مدبِّرَ للأمورِ إلَّا اللهُ، قالَ اللهُ تعالَى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ}[الأعراف: 45]، وقالَ تعالَى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ}[يونس: 31]، وقالَ تعالَى: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ}[السجدة: 5]، وقالَ تعالَى: {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}[فاطر: 13].

---

(1) لسان العرب.

(ج) الثَّالثُ: الإيمانُ بألوهيتهِ:

وهوَ إفرادُ اللهِ سبحانهُ فِي ألوهيَتهِ أي عبادته، أي: بأنَّهُ الإلهُ الحقُّ لَا شريكَ لهُ.

والألوهيَّةُ لغةً:

هيَ مصدرُ ألهَ يألهُ، قالَ الجوهرِي: ألهَ – بالفتح – إلاهةً، أيْ عبدَ عبادةً، ومنهُ قرأَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهمَا: {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ}[الأعراف: 127] بكسرِ الهمزةِ، قالَ وعبادتكَ وكانَ يقولُ: إنَّ فرعونَ كانَ يُعبدُ فِي الأرضِ.

ومنهُ قولنَا: (اللهُ) وأصلهُ: (إلهٌ) علَى وزنِ فِعالٌ بمعنَى مفعولٌ أيْ معبودٌ، كقولنَا: إمامٌ، فِعالٌ: لأنَّهُ مفعولٌ أيْ مؤتمٌّ بهِ[1].

وعلَى هذَا فالألوهيَّة هيَ: المعبوديَّةُ، فللَّهِ تعالَى الألوهيَّةُ – المعبوديَّة – وللخلقِ العبوديَّةُ.

و(الإلهُ) بمعنَى (المألوهُ) أي: (المعبودُ) حبًّا وتعظيمًا[2].

والألوهيَّةُ اصطلاحًا:

لهَا نفسِ المعانِي اللُّغويَّةِ.

ومعنَى (لَا إلهَ إلَّا اللهُ) أي: لَا معبودَ بحقٍّ إلَّا اللهُ، قالَ تعالَى: {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}[البقرة: 163]، وقالَ تعالَى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[آل عمران: 18].

وكلُّ مَا اتُّخذَ إلهًا معَ اللهِ تعالَى يُعبدُ منْ دونهِ، فألوهيتهُ باطلةٌ، قالَ تعالَى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}[الحج: 62].

ومنْ هنَا يجبُ علينَا تعريفُ معنَى العبادةِ:

(1) الصحاح للجوهري: 2223/6 مادة أله – وتفسير أسماء الله الحسنى للزجَّاج – ص:26.

(2) السابق.

العبادةُ لغةً:

قالَ ابنُ فارسٍ: العينُ والباءُ والدَّالُ أصلانِ صحيحانِ، كأنَّهمَا متضادَّانِ، والأوَّلُ منْ ذينكَ الأصلينِ يدلُّ علَى لينٍ وذلٍّ، والآخرُ علَى شدَّةٍ وغلظٍ.

فالأوَّلُ: العبدُ المملوكُ... والمعبَّدُ: الذَّلولُ... والطريقُ المعبَّدُ المسلوكُ المذلَّلُ.

والأصلُ الآخرُ: العبدةُ وهيَ القوَّةُ والصَّلاةُ، يقالُ: هذَا ثوبٌ لهُ عبدةٌ، إذَا كانَ صفيقًا قويًّا[1].

وقالَ ابنُ منظورٍ:... والمعبَّدُ: المذلَّلُ، والتَّعبُّد: التذلُّلُ... وبعيرٌ معبَّدٌ: مذلَّلٌ، وطريقٌ معبَّدٌ: مسلوكٌ مذلَّلٌ[2].

العبادةُ اصطلاحًا أيْ شرعًا:

لعلَّ أجمعَ تعريفِ للعبادةِ مَا ذكرهُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية بقولهِ: العبادةُ اسمٌ جامعٌ لكلِّ مَا يحبُّهُ اللهُ ويرضاهُ منَ الأقوالِ والأعمالِ الباطنةِ والظَّاهرةِ[3]. اهـ

ولقدْ ضمرَ معنَى العبادةِ فِي نفوسِ بعضِ المسلمينَ وعقولهمْ بحيثُ حصروهَا فِي الشَّعائرِ التَّعبديَّةِ، مثلَ: الصَّلاةِ، والزَّكاةِ والصَّومِ، والحجِّ، وربَّمَا أضافَ بعضهمْ إليهَا الذِّكرَ، والجهادَ، ولكنْ دلالةَ العبادةِ أوسعُ بكثيرٍ منْ ذلكَ[4]، فقدْ غفلَ جلُّ المسلمينَ علَى عبادة الدُّعاءِ والاستغاثةِ والتَّوسُّلِ، فتجدهمْ يدعونَ ويستغثونَ ويتوسَّلونَ بالمخلوقِ ويذرونَ أحسنَ الخالقينَ، ومنْ ذلكَ قولهُ تعالَى: {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}[غافر65]، وهذهِ الآيةُ تأمرنَا بالدُّعاء وبالإخلاصِ للهِ تعالَى فِيه، وتبيِّنُ التَّلازمَ بينَ الدُّعاءِ والعبادةِ، وتفيدُ وجوبَ الإخلاصِ فِي العبادةِ، والدُّعاءُ هوَ العبادةُ، فمنْ دعَا غيرَ اللهِ تعالَى فيمَا يختصُّ بِهِ اللهُ تعالَى وحدهُ فقدْ أشركَ باللهِ تعالَى وإنْ قالَ لَا إلهَ إلَّا اللهُ، قالَ تعالَى:

{فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}[العنكبوت65]، وفِي هذهِ الآيةِ يصفُ اللهُ تعالَى منْ لمْ يخلصُوا للهِ تعالَى فِي دعائهمْ بأنَّهمْ يشركونَ.

---

(1) معجم مقاييس اللغة 4/ 205، 206 باختصار.

(2) لسان العرب، مادة عبد 3/ 274.

(3) العبودية، ص31.

(4) أضواء على تعريف العبادة: أ- د. مضطفى مسلم – شبكة الألوكة.

والشِّركُ هوَ:

مَا عرَّفهُ الإمامُ محمَّدٌ بنُ عبدِ الوهَّابِ رحمهُ اللهُ تعالَى حيثُ قالَ: هوَ صرفُ نوعٍ منَ العبادةِ إلَى غيرِ اللهِ تعالَى، أوْ: هوَ أنْ يدعُو معَ اللهِ تعالَى غيرهُ، أوْ يقصدهُ بغيرِ ذلكَ منْ أنواعِ العبادةِ التِي أمرَ اللهُ تعالَى بهَا"[1].

وهذَا أشملُ التَّعريفاتِ للشِّركِ، فهوَ تعريفٌ جامعٌ مانعٌ.

ودعاءُ غيرِ اللهِ تعالَى هوَ قمَّةُ الضَّلالِ، قالَ تعالَى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ}[الأحقاف: 5].

وأمَّا دعاءُ الاستغاثةِ:

قالَ ابنُ قتيبةَ فِي قولهِ تعالَى: {وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دِونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[البقرة23]، أيِ ادعوهمْ ليعاونوكمْ علَى سورةٍ مثلهِ، ومعنَى الدُّعاءُ هَاهنَا الاستغاثةُ، ومنهُ دعاءُ الجاهليَّةِ وهوَ قولهمْ: يَا آلَ فلانَ، إنَّمَا هوَ استغاثتهمْ[2].

والاسْتِغَاثَةُ لغةً:

اِسْتَغاثَ صاحِبَهُ: اِسْتَنْصَرَهُ، اِسْتَعانَهُ.

و(عند النحاة): نِداءُ من يخلِّصُ منْ شدَّةٍ أَوْ يُعينُ علَى دفعِ بليَّةٍ...[3]

والاستغاثةُ اصطلاحًا:

طلَبُ الغَوْثِ مِنْ مَخْلوقٍ كائنًا مَنْ كانَ وبطريقةٍ مباشِرةٍ، كأنْ يقولَ: يَا فلانُ، نجِّنِي منَ الكُرباتِ، ارزُقنِي أولادًا، ونحوَ ذلكَ.

شرط الاستغاثة بالمخلوق:

أن يكون المخلوق، حيًّا، حاضرا، قادرًا.

فإن فُقدَ شرط من هذه الشروط فهو شرك خالص.

---

(1) مؤلفات الشيخ: قسم العقيدة ص: 281، عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص: 423 لصالح عبد الله العبود

(2) غريب القرآن43.

(3) معجم المعاني.

والتَّوسُّلُ لغةً:

قالَ جوهري، الوسيلةُ: مَا يُتقرَّبُ بِهِ إِلَى الغيرِ، والجمعُ: الوسيلُ والوسائلُ والتَّوسُّلُ واحدٌ، وسلَ فلانٌ إِلَى ربِّهِ وسيلةً وتوسَّلَ إليهِ بوسيلةٍ أيْ تقرَّبَ إليهِ بعملٍ[1].

وأمَّا التَّوسُّل اصطلاحًا:

فهوَ علَى قسمينِ، قسمٌ مشروعٌ وقسمٌ ممنوعٌ:

أمَّا التَّوسُّلُ المشروعُ: كالتوسُّلِ بأسماءِ اللهِ تعالَى الحُسنَى وصفاتِهِ العُلَا، والتَّوسُّلُ بالإيمانِ باللهِ وبالعملِ الصَّالحِ، وكطلبِ الدُّعاءِ منْ مسلمٍ صالحٍ حيٍّ حاظر فِي مصائبٍ عامَّةٍ، كمَا توسَّلَتِ الصَّحابةُ بالعبَّاسِ عمِّ النَّبيِّ ﷺ وتوسَّلَ مَنْ بعدهمْ بأسودَ بنِ يزيدٍ.

وأمَّا التَّوسُّلُ الممنوعُ:

فهوَ التَّقرُّبُ والتَّزَلُّفُ بمَا يَعتقِدهُ المُتوسِّلُ أنَّهُ مباركٌ ومقبولٌ عندَ اللهِ تعالَى، وهوَ منْهِيٌ عنهُ، بلْ هوَ نوعٌ منَ الشِّركِ كالتَّوسُّلِ بأمواتِ سواءً كانُوا أولياءَ أوْ أنبياءَ، ومنْ هنَا فإنْ كانَ التَّوسُّلُ بالنَّبيِّ المرْسَلِ والملَكِ المقرَّبِ منْهيًّا عنهُ، فكيفَ بِمَنْ دونهمَا؟ لَا شكَّ أنَّ النَّهْيَ عنِ التَّوسُّلِ بغيرهمَا منْ بابِ أَوْلَى وأحرَى.

قالَ تعالَى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[الزمر: 3].

وشرطُ التوسُّلِ الجائزِ:

أنْ يكونَ المتوسَّلُ بِهِ حيًّا حاضرًا مسلمًا صالحًا، وأنْ يكونَ التوسُّلُ بِهِ بطلبِ الدُّعاءِ منهُ، ومنْ ذلكَ حديثُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ كانَ إذَا

قحطُوا استسقَى بالعبَّاسِ بنِ عبدِ المطلِّبِ، فقالَ: "اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّلُ إليكَ بنبيِّنَا ﷺ فتُسْقِيَنَا، وإنَّا نتوسَّلُ إليكَ بعمِّ نبيِّنَا فاسقنَا" قالَ: فَيُسْقَونَ[2] اهـ، ولَا يَغُرَّنَكَ ظاهرُ الحديثِ أنَّ عمرَ توسَّلَ بذاتِ العبَّاسِ، فهذَا خطأٌ، بلِ الصَّحيحُ أنَّ عمرَ توسَّلَ بدعاءِ العبَّاسِ، ودليلهُ مَا نقلهُ الحافظُ العسقلانِي رحمهُ اللهُ تعالَى فِي "الفتحِ" حيثُ قالَ:

(1) كتاب التوصل إلى حقيقة التوسل – معنى التوسل لغة وشرعا – ص19.

(2) رواه البخاري.

قدْ بيَّنَ الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ فِي "الأنسابِ" صفةَ مَا دعَا بهِ العبَّاسُ فِي هذهِ الواقعةِ، والوقتِ الذِي وقعَ فيهِ ذلكَ، فأخرجَ بإسنادٍ لهُ أنَّ العبَّاسَ لمَّا استسقَى بهِ عمرُ قالَ: "اللَّهمَّ إنَّهُ لمْ ينزلْ بلاءٌ إلَّا بذنبٍ، ولمْ يُكشفْ إلَّا بتوبةٍ، وقدْ توجَّهَ القومُ بِي إليكَ لمكانِي منْ نبيِّكَ ﷺ، وهذهِ أيدينَا إليكَ بالذُّنوبِ، ونواصينَا إليكَ بالتَّوبةِ، فاسقنَا الغيثَ"، قالَ: فَأَرْخَتِ السَّماءُ مثلَ الجبالِ حتَّى أخصبتِ الأرضُ، وعاشَ النَّاسُ[1] اهـ.

فتفهمُ منْ هذَا أنَّ عمرَ قدِ استقسَى بدعاءِ العبَّاسِ لَا بالعبَّاسِ نفسهِ، واستسقَى عمرُ بالعبَّاسِ لقربهِ منَ النبيِّ ﷺ ولصلاحهِ فهوَ منْ أولياءِ اللهِ الصَّالحينَ حقًّا، والوليُّ هوَ ما عرَّفهُ اللهُ تعالَى لنَا بقولهِ: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[يونس: 62 – 63].

وهنَا شرطَ سبحانهُ شرطينِ فِي الولايةِ:

الشَّرطُ الأوَّلُ: الإيمانُ، والذِي نحنُ بصددِ تعريفهِ.

والشَّرطُ الثَّانِي هوَ: التَّقوَى، ولعلَّ أشملَ التَّعريفاتِ للتَّقوَى هوَ: أنْ تجعلَ بينكَ وبينَ عذابِ اللهِ تعالَى وقايةً، ومعنَى قولكَ: اتَّقِ اللهَ: أيْ: اجعلْ بينكَ وبينَ عذابِ اللهِ وقايةً بطاعتهِ فِي أوامرهِ، ومنهُ: قولهُ ﷺ: "اتَّقُوا النَّارَ ولوْ بشقِّ تمرةٍ"[2].

فعُلِمَ بذلكَ أنَّ مَنِ اتَّخذَ منْ دونِ اللهِ تعالَى أولياءً للتَّقرُّبِ أوْ للتَّزلُّفِ؛ سواءً كانُوا أصنامًا أوْ أشخاصًا، بقولٍ مثلَ قولهمْ: يَا ربِّ بجاهِ فلانٍ، أوْ بعملٍ: كالنحرِ لصاحبِ قبرٍ للتقرُّبِ بذلكَ للهِ، فمنْ فعلَ ذلكَ فقدْ خالفَ التَّوحيدَ والإخلاصَ، وأشرَكَ باللهِ العظيمِ، وانحَرَفَ عنِ الصِّراطِ المستقيمِ والدِّينِ الخالصِ للهِ تعالَى، واتَّبعَ خطواتِ الشَّيطانِ، ووقَعَ فِي الضَّلالِ المُبينِ، وقدْ حَكَمَ اللهُ تعالَى علَى مَنْ كانَ أمرُهُ كذلكَ بالكذبِ والكفرِ كمَا قالَ تعالَى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ}[الزمر: 3].

---

(1) فتح الباري للعسقلاني.

(2) رواه البخاري (1413)، ومسلم (2347) عن عدي بن حاتم.

(3) تعريف الإيمان لغة واصطلاحا: الشيخ عبد الله بن صالح القصير – شبكة الألوكة – بتصرُّف.

(د) الرَّابعُ: الإيمانُ بأسمائهِ وصفاتهِ سبحانهُ وتعالَى:

أي: إثباتُ مَا أثبتهُ اللهُ تعالَى لنفسهِ فِي كتابهِ، أوْ فِي سنَّةِ رسولهِ ﷺ منَ الأسماءِ والصِّفاتِ علَى الوجهِ اللَّائقِ بهِ سبحانهُ منْ غيرِ تحريفٍ، ولَا تعطيلٍ، ومنْ غيرِ تكييفٍ، ولَا تمثيلٍ، قالَ تعالَى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}[الشورى :11]، وقالَ اللهُ تعالَى: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[الأعراف: 18]، فهذهِ الآيةُ دليلٌ علَى إثباتِ الأسماءِ الحسنَى للهِ تعالَى، وقالَ تعالَى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}[الروم: 27]، وهذهِ الآيةُ دليلٌ علَى إثباتِ صفاتِ الكمالِ للهِ تعالَى، لأنَّ المرادَ بِـ (المثلِ الأعلَى) هوَ: (الوصفُ الأكملُ)، وبهِ قالَ القرطبِي، قالَ:

... وقالَ الخليلُ: المثلُ الصِّفةُ، أيْ: ولهُ الوصفُ الأعلَى فِي السَّماواتِ والأرضِ[1]، فالآياتُ السَّابقِ ذِكرهَا تثبتُ الأسماءَ الحسنَى والصفاتِ العلَا للهِ تعالَى علَى سبيلِ العمومِ، وأمَّا تفصيلُ ذلكَ فِي الكتابِ والسُّنَّةِ فكثيرٌ.

وهذَا البابُ منْ أبوابِ العلمِ، أيْ "أسماءِ اللهِ تعالَى وصفاتهِ" منْ أكثرِ الأبوابِ التِي حصلَ فيهَا النِّزاعُ والشِّقاقُ بينَ أفرادِ الأمَّةِ، فقدِ اختلفتِ الأمَّةُ فِي أسماءِ اللهِ تعالَى وصفاتهِ فرقًا شتَّى، وموقفُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ منْ هذَا الاختلافِ، هوَ مَا أمرَ اللهُ تعالَى بهِ فِي قولهِ: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ}[النساء: 59].

والأصلُ أنْ يُردَّ هذَا التَّنازعُ إلَى كتابِ اللهِ تعالَى وسنَّةِ رسولهِ ﷺ مسترشدينَ فِي ذلكَ بفهمِ السَّلفِ الصَّالحِ منَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ، فإنَّهمْ أعلمُ الأمَّةِ بمرادِ

---

(1) تفسير القرطبي.

اللهِ تعالَى ومرادِ رسولهِ ﷺ، ولقدْ صدقَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ وهوَ يصفُ أصحابَ النَّبِيِّ ﷺ فقالَ: "منْ كانَ منكمْ مستنًّا، فليستنَّ بمنْ قدْ ماتَ، فإنَّ الحيَّ لَا يُؤمنُ عليهِ الفتنةَ، أولئكَ أصحابُ محمَّدٍ ﷺ، أبرُّ هذهِ الأمَّةِ قلوبًا، وأعمقهَا علمًا، وأقلّهَا تكلُّفًا، قومٌ اختارهمُ اللهُ لإقامةِ دينهِ، وصحبةِ نبيِّهِ ﷺ، فاعرفُوا لهمْ حقَّهمْ، وتمسَّكُوا بهديهمْ، فإنَّهمْ كانُوا علَى الهدَى المستقيمِ"[1] وكانُوا رضيَ اللهُ عنهمْ يُثبتونَ للهِ تعالَى مَا أثبتهُ لنفسهِ منْ أسماءٍ وصفاتٍ ومَا أثبتهُ لهُ رسولهُ ﷺ بلَا تحريفٍ ولَا تعطيلٍ ولَا تكييفٍ ولَا تمثيلٍ، وأمَّا مازادوهُ منَ الأسماءِ ونسبوهَا للهِ تعالَى مثل الضَّميرِ "هوَ" فهذَا لَا دليلَ عليهِ منَ الكتابِ ولَا منَ السُّنَّةِ، وغيرِ ذلكَ منَ الأسماءِ مثلَ "أهْ"، ويكفِي هؤلاءِ قولُ اللهِ تعالَى فيهمْ: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: 18].

قالَ الطَّبريُّ فِي معنَى الإلحادِ: وكانَ إلحادهمْ فِي أسماءِ اللهِ، أنَّهمْ عدَلُوا بهَا عمّا هيَ عليهِ[2]، وقالَ الشَّوكانِي: قولهُ: "وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ" الإلحادُ: الميلُ وتركُ القصدِ، يقالُ: لحدَ الرَّجلُ فِي الدِّين وألحدَ: إذَا مالَ، ومنهُ اللَّحدُ فِي القبرِ لأنَّهُ فِي ناحيةٍ، وقرئَ "يَلحدونَ" وهمَا لغتانِ.

---

(1) معنى الإيمان – موقع الإسلام سؤال وجواب – بتصرف.

(2) تفسير الطبري.

والإلحادُ فِي أسمائهِ سبحانهُ يكونُ علَى ثلاثةِ أوجهٍ:

إمَّا بالتَّغييرِ: كمَا فعلهُ المشركونَ فإنَّهمْ أخذُوا اسمَ اللَّاتِ منَ اللهِ، والعزَّى من العزيزِ، ومناةَ منَ المنَّانِ.

أوْ بالزِّيادةِ عليهَا: بأنْ يخترعُوا أسماءً منْ عندهمْ لمْ يأذنِ اللهُ بهَا، كمَا يفعلُ غلاةُ الصُّوفيَّةِ مثل: (هو)، و (أَهْ)

أوْ بالنُّقصانِ منهَا: بأنْ يدعوهُ ببعضهَا دونَ بعضٍ[1] كما قال الله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ}[الفرقان: 60].

قال السعدي: أي: وحده الذي أنعم عليكم بسائر النعم ودفع عنكم جميع النقم. {قَالُوا} جحدا وكفرا {وَمَا الرَّحْمَنُ} بزعمهم الفاسد أنهم لا يعرفون الرحمن[2].

وقال ابن كثير: أي: لا نعرف الرحمن، وكانوا ينكرون أن يسمى الله باسمه الرحمن، كما أنكروا ذلك يوم الحديبية[3].

---

(1) فتح القدير للشوكاني.

(2) تفسير السعدي.

(3) تفسير ابن كثير.

2) الإيمانُ بملائكتهِ سبحانهُ:

الثَّانِي: الإيمانُ بالملائكةِ، وهوَ: الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ الملائكةَ خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ تعالَى، وعبادٌ مكرمونَ، لَا يوصفونَ بالذُّكورةِ ولَا بالأنوثةِ، ويُخاطبونَ باللَّفظِ المذكَّر، ولَا يأكلونَ ولَا يشربونَ، ولَا يعلمُ عددهمْ إلَّا اللهُ تعالَى، قالَ تعالَى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}[المدثر: 31].

الملك في اللغة:

حامل الألوكة وهي الرسالة[1].

الملائكة في الاصطلاح:

أجسام نورانية لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات، وأبطل من قال: أنها الكواكب أو أنها الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها، وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها[2].

والإيمان بالملائكة: هو اعتقادهم عبادًا لله، ورفض معتقدات الجاهلية فيهم(3).

مثل دعائهم، والتوكل عليهم، والاستغاثة بهم وغير ذلك.

---

(1) النبوات ص٢٥٧.

(2) فتح الباري ٣٠٦/٦ – وانظر: التعريفات، الجرجاني ص٢٢٩

(3) المحرر الوجيز ١/ ٣٩١.

ومن الملائكة موَكَّلونَ بالوحيِ، قالَ تعالَى: {قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}[النحل: 102].

والموكَّلونَ بالموتِ، قالَ تعالَى: {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ}[السجدة: 11].

والموكَّلونَ بغيرِ ذلكَ، وكلُّهمْ مستسلمونَ منقادونَ لأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، قالَ اللهُ تعالَى: {لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التَّحريم: 6].

وقدْ خلقَ اللهُ تعالَى الملائكةَ منْ نورٍ، كمَا خلقَ الإنسانَ منْ صلصالٍ كالفخَّارِ، وخلقَ الجانَّ منْ مارجٍ منْ نارٍ، فعنْ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ رضيَ اللهُ تعالَى عنهَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: "خُلِقَتِ الملائكةُ منْ نورٍ، وخُلِقَ الجانُّ منْ مارجٍ منْ نارٍ، وخُلِقَ آدمُ ممَّا وُصِف لكمْ"(يعنِي منْ طينٍ)[1].

والملائكة يتمثَّلون في أشكال البشر، قال تعالى:{ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا }[مريم: ١٧].

والملائكة لهم أجنحة، قال تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[فاطر: 1].

والإيمانُ بالملائكةِ عليهمُ السَّلامُ يوجبُ محبَّتهمْ وإجلالهمْ، فهمْ عبادٌ مكرمونَ، لَا يعصونَ اللهَ مَا أمرهمْ، ويفعلونَ مَا يؤمرونَ، ويسبِّحونَ اللَّيلَ والنَّهارَ لَا يفترونَ، ولذَا فإنَّ سبَّهمْ والاستهزاءَ بهمْ أوِ الاستهزاءَ بواحدٍ منهمْ أوِ الاستهزاءَ بعملهمْ، لَا يجتمعُ معَ حبِّهمْ وإجلالهمْ وإكرامهمْ، وهوَ صورةٌ منْ عداوتهمْ، وإنْ كانَ المستهزئُ بهمْ مقرًّا

(1) رواه مسلم.

بوجودهِمْ، فلَا يكفِي لتحقيقِ الإيمانِ الإقرارُ بالوجودِ، قالَ اللهُ تعالَى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ}[البقرة: 98]، قالَ ابنُ كثيرٍ: "يقولُ تعالَى منْ عادانِي وملائكتِي ورسلِي، ورسلهُ تشملُ رسلهُ منَ الملائكةِ، كمَا قالَ تعالَى: {اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ}[الحج: 75]،"وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ" وهذَا منْ بابِ عطفِ الخاصِ علَى العامِ، فإنَّهمَا دخلَا فِي الملائكةِ، ثمَّ عمومِ الرُّسلِ، ثمَّ خُصِّصَا بِالذِّكْرِ، لأنَّ السِّياقَ فِي الانتصارِ لجبريلَ وهوَ السَّفيرُ بينَ اللهِ تعالَى وأنبيائهِ، وَقَرَنَ معهُ ميكائيلَ فِي اللَّفظِ، لأنَّ اليهودَ زعمُوا أنَّ جبريلَ عدوَّهمْ وميكائيلُ وليَّهمْ، فأعْلمهمْ أنَّهُ منْ عادَى واحدًا منهمَا فقدْ عادَى الآخرَ وعادَى اللهَ تعالَى أيضًا"[1].

وقالَ القرطبيُّ: "وهذَا وَعِيدٌ وَذَمٌّ لِمُعَادِي جبريلَ عليهِ السَّلامُ، وإعلانٌ أنَّ عداوةَ البعضِ تقتضِي عداوةَ اللهِ تعالَى لهمْ، وعداوةُ العبدِ للهِ تعالَى هيَ معصيتهُ واجتنابُ طاعتهِ، ومعاداتُ أوليائهِ، وعداوةُ اللهِ تعالَى للعبدِ تعذيبهُ وإظهارُ أثرِ العداوةِ عليهِ، فإنْ قيلَ: لِمَ خصَّ اللهُ جبريلَ وميكائيلَ بالذِّكرِ، وإنْ كانَ ذكرُ الملائكةِ قدْ عمَّهمَا؟ قيلَ لهُ: خصَّهمَا بالذِّكرِ تشريفًا لهمَا، كمَا قالَ: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}[الرَّحمن: 68]، وقيلَ: خُصَّا لأنَّ اليهودَ ذكروهمَا، ونزلتِ الآيةُ بسببهمَا، فذكرهمَا واجبٌ لئلَّا تقولَ اليهودُ: إنَّا لمْ نُعادِ اللهَ وجميعَ ملائكتهِ، فنصَّ اللهُ تعالَى عليهمَا لإبطالِ مَا يتأوَّلونهُ منَ التَّخصيصِ"[2].

وقالَ القاضِي عياضُ: وحكمُ منْ سبَّ سائرَ أنبياءِ اللهِ تعالَى، وملائكتهِ، واستخفَّ بهمْ، أوْ كذَّبهمْ فيمَا أتوا بهِ، أوْ أنكرهمْ وجحدهمْ، حكمُ نبيِّنَا ﷺ[3] (أي كفرهم).

(1) تفسير ابن كثير.

(2) تفسير القرطبي.

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

3) الإيمانُ بكتبهِ سبحانهُ:

الثَّالثُ: الإيمانُ بالكتبِ، وهوَ: الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ اللهَ تعالَى أنزلَ علَى رُسُلِهِ كتبًا فيهَا أمرهُ ونهيهُ ووعدهُ ووعيدهُ وفيهَا نورٌ وهدًى، قالَ تعالَى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[البقرة: 285] وأنزلَ اللهُ تعالَى هذهِ الكتبَ لأجلِ هدايةِ النَّاسِ وإخراجهمْ منَ الظُّلماتِ إلَى النُّورِ، وهيَ: القرءانُ والإنجيلُ والتَّوراةُ والزَّبورُ وصحفِ إبراهيمَ، وموسَى، قالَ تعالَى: {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}[البقرة: 136] وأعظمهَا التَّوراةُ والإنجيلُ والقرآنُ، وأعظمُ الثَّلاثةِ وناسخهَا وأفضلهَا القرءانُ، ففِي الحديثِ عنْ جابرٍ عنِ النَّبيِّ ﷺ: حينَ أتاهُ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ: إنَّا نسمعُ أحاديثَ منْ يهودٍ تعجبنَا، أفترَى أنْ نكتبَ بعضهَا؟ فقالَ: "أمتهوِّكونَ أنتمْ كمَا تهوَّكتِ اليهودُ والنَّصارَى؟ لقدْ جئتكمْ بهَا بيضاءَ نقيَّةً ولوْ كانَ موسَى حيًّا مَا وسعهُ إلَّا اتِّباعِي"[1]، وفِي روايةٍ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ غضبَ حينَ رأَى معَ عمرَ صحيفةً فيهَا شيءٌ منَ التَّوراةِ وقالَ: "أفِي شكٍّ أنتَ يَا ابنَ الخطَّابِ، ألمْ آتِ بهَا بيضاءَ نقيَّةً؟ لوْ كانَ أخِي موسَى حيًّا مَا وسعهُ إلَّا اتِّباعِي"، وهذهِ دلالةٌ علَى أنَّ القرءانَ ناسخٌ لمَا قبلهُ منَ الكتبِ، كمَا نؤمنُ أنَّ القرءانَ كلامُ اللهِ تعالَى غيرُ مخلوقٍ.

---

(1) رواه أحمد والبيهقي في كتاب شعب الإيمان، وهو حديث حسن. و لأحمدَ رواة أخرى.

4) الإيمانُ برسلهِ سبحانهُ:

والرَّابعُ: الإيمانُ بالرُّسلِ، وهوَ: الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ اللهَ سبحانهُ أرسلَ إلَى عبادهِ رسلًا مبشِّرينَ ومنذرينَ مُطاعين، لهدايةِ البشرِ وإخراجهمْ منَ الظُّلماتِ إلَى النُّورِ، قالَ تعالَى {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا}[النساء: 165] وقالَ تعالَى {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}[النحل: 36] ويجبُ أنْ نؤمنَ بذلكَ إجمالًا فلَا نعلمُ عددهمْ، كمَا قالَ تعالَى {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ}[غافر: 78] كمَا يجبُ أنْ نؤمنَ بهمْ تفصيلًا كمَا فصلَّهمُ اللهُ تعالَى فِي كتابهِ الكريمِ، وأفضلهمُ الرُّسلُ ثمَّ الأنبياءُ، وأفضلُ الرُّسلِ والأنبياءِ أولُو العزمِ، وهمْ خمسةٌ: محمَّدٌ، ونوحٌ، وإبراهيمُ، وموسَى، وعيسَى، صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهمْ أجمعينَ، قالَ تعالَى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}[الأحقاف: 35]

والدَّليلُ علَى أنَّ أولُو العزمِ خمسةٌ: أنّ اللهَ تعالَى ذكرَ الأنبياءَ ثمَّ عطفَ عليهمْ بهذهِ المجموعةِ، وعطفُ الخاصِ علَى العامِ يفيدُ أنَّ للخاصِ زيادةً فِي الفضلِ، وذلكَ فِي قولهِ تعالَى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا}[سورة الأحزاب: 7].

وعطفُ الخاصِ علَى العامِ منَ مباحثِ القرءانِ التِي يتطرَّقُ إليهَا المفسِّرونَ أثناءَ تفسيرهمْ لكتابِ اللهِ العزيزِ،... وذلكَ أنْ يكونَ اللَّفظُ الخاصُ مندرجًا فِي اللَّفظِ العامِ، لكنْ يُعطفُ عليهِ اللَّفظُ الخاصُ بغرضِ التَّنبيهِ عليهَا، أوْ لاعتبارِ ذِي بالٍ[1].

---

(1) بغية السائل من أوبد المسائل – وليد المهدي.

والعطفُ هوَ: اتباعُ لفظٍ للفظٍ آخرَ بواسطةِ حرفٍ، أيْ أنَّ تركيبَ العطفِ يتكوَّنُ منهُ تابعٌ يسبقهُ متبوعٌ ويتوسَّطهمَا حرفٌ منْ حروفِ العطفِ، وحروفُ العطفِ تسعةٌ: ستَّةٌ منهَا تفيدُ المشاركةَ بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليهِ فِي الحكمِ والإعرابِ معًا وهي:

الواو – الفاء – ثم – حتى – أو – أم.

والثَّلاثةُ الباقيةُ تعطِي المعطوفَ حركةَ المعطوفِ عليهِ دونَ المشاركةِ فِي الحكمِ، وهيَ: بل – لا – لكن، وبذلكَ يتكوَّنُ أسلوبُ العطفِ، منَ المعطوفِ عليهِ (المتبوعُ) والمعطوفُ (التَّابعُ) وحرف العطفِ.

والخاصُ لغةً: كلُّ لفظٍ وضعَ لمعنَى معلومٍ لَا ينطبقُ علَى غيرهِ، جنسًا أو نوعًا أو عينًا؛ جنسٌ مثلَ (جنٌّ) أوْ نوعًا كـ (امرأةٍ) أوْ عينًا كـ (إبراهيم)[1].

الخاصُ اصطلاحًا: هوَ قصرُ حكمٍ عامٍ علَى بعضِ أفرادهِ[2].

العامُ لغةً: الشاملُ، وهوَ منْ عمَّ يعمُّ عموماً وعاماً، يقالُ: عمَّهمْ بالعطيَّةِ، أيْ: شملهمْ[3].

العامُ اصطلاحًا: هوَ اللَّفظُ المستغرقُ لكلِّ مَا يصلحُ لهُ دفعةً واحدةً[4].

فإذَا عُطفَ الخاصُ علَى العامِ كانَ زيادةً للخاصِ في الفضلِ، وبذلكَ علمنَا منَ الآيةِ أنَّ أولُو العزمِ منَ النَّبيئينَ خمسةٌ.

---

(1) قاموس المعني.

(2) الشنقيطي – مذكرة في أصول الفقه.

(3) انظر لسان العرب 426/12.

(4) أبو الحسن البصري "المعتد في أصول الفقه".

وأفضلُ أولِي العزمِ نبيُّ الإسلامِ وخاتمِ الأنبياءِ والمرسلينَ أبُو القاسمِ محمَّدٌ بنُ عبدِ اللهِ الهاشمِي ﷺ، قالَ تعالَى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}[الأحزاب: 40] وعنْ أبِي هُرَيْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"[1]. فعلمنا بالآية والحديث أنَّ النبيَّ محمَّد ﷺ خاتم الأنبياء وسيِّدهم.

والإيمانُ بواحدٍ منهمْ يستلزمُ الإيمانَ بهمْ جميعًا، كمَا أنَّ الكفرَ بواحدٍ منهمْ كفرٌ بجميعهمْ، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهمْ يدعُو إلَى توحيدِ اللهِ تعالَى وطاعتهِ، قالَ تعالَى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}[النساء: 150]، كمَا تنطبقُ هذهِ الآيةُ علَى الذِينَ يُفرِّقونَ بينَ كتابِ اللهِ تعالَى وسنَّةِ رسولهِ ﷺ[2].

---

(1) رواه مسلم.

(2) للمزيد والتوسُّع، يُنظر كتاب: الرسل والرِّسالات – د. عمر سليمان الأشقر.

كما يجب أن نؤمن بأنَّ دين كلّ الأنبياء هو الإسلام:

وقبل أن ندلي بالأدلَّة على ذلك وجب علينا تعريف الشريعة، والدين، والإسلام، والفرق بينهم، ومن ضمن ذلك سنرى أنَّ دين كل الأنبياء هو الإسلام:

الشريعة لغة:

مشتقة من الفعل الثلاثي (شَرَعَ)، قال ابن فارس: الشين والراء والعين أصل واحد، وهو شيء يفتح في امتداد يكون فيه، من ذلك الشريعة، وهي مورد الشاربة للماء، واشتق من ذلك الشرعة في الدين، والشريعة[1].

وقال الزمخشري: والشريعة والشِّرعة وشرع اللَّه تعالى الدين... وشرع الباب إلى الطريق، وأشرعته، والناس فيه شَرَعَ وشَرْع سواء[2].

وممَّا أورده ابن منظور في دلالتها اللغويَّة قوله: والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عدًّا لا انقطاع له، ويكون ظاهرًا معينًا لا يسقى بالرِّشاء...[3].

وتطلق الشريعة على المثل، كما ذكر الجوهري إذ قال: ويقال أيضًا: هذه شرعة هذه، أي: مِثْلُها، وهذا شِرْع هذا، وهما شرعان، أي: مثلان[4].

وأورد الفيروزآبادي في معنى الشريعة: الظاهر المستقيم من المذاهب... إلى قوله: وشَرَعَ لهم، كمَنَعَ: سَنَّ[5].

---

(1) كتاب دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه ص303، ومعجم مقدمة اللغة.

(2) أساس البلاغة مادة: (شرع).

(3) لسان العرب: المادة نفسها.

(4) الصحاح: المادة نفسها.

(5) القاموس: المادة نفسها.

الشريعة اصطلاحا:

تطلق الشريعة ويراد بها: ما شرع اللَّه تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء صلى اللَّه عليهم وعلى نبينا وسلم، وسواء كانت متعلقة بكيفية عمل، وتسمى فرعية وعملية ودُوِّن لها علم الفقه، أو بكيفية الاعتقاد وتسمَّى أصلية أو اعتقادية[1].

وقال الأصفهاني: الشرع نهج الطريق الواضح... واستعير ذلك للطريقة الإلهية، فقال تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[المائدة: 48][2].

يتبين من هذين التعريفين أن الشريعة تطلق ويراد بها:

الأصول الاعتقادية، والأحكام الفقهية عامَّة.

ولذلك قُيِّدَ تعريف الفقه بالعمل، بأنَّه: "العلم بالأحكام الشرعيَّة والعمليَّة"

لأنَّ المراد من تعريف الفقه هو فروع الشريعة لا أصولها أي العقيدة فيخرجُ بهذا القيد، الأحكام الاعتقاديَّة عامَّة، كالإيمان بالله تعالى، وملائكتهِ، وكتبهِ، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، ومعرفة معنى الإيمان، والتَّوحيد بأقسامه ونحو ذلك.

وبهذا نخرج أنَّ الشريعة تشمل كل أحكام العباد، من أصول الدين، أي العقيدة وفروعه، وأنَّه صراط الله المستقيم، وطريقته المتَّبعة.

---

(1) محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون: (1/ 759)، مادة: (الشرع)، وانظر: محمد الدسوقي وأمينة الجابر: مقدمة في دراسة الفقه الإسلامي: ص: (16).

(2) مفردات ألفاظ القرآن: مادة (شرع)، والمرجع سابق.

علاقة الشرع بالدِّين:

أوَّلا لتتبيَّن العلاقة بين الدين والشرع وجب علينا تعريف الدين، كما عرَّفنا الشرع سابقا.

الدين لغة:

جاء في مختار الصحاح: والدِّينُ بالكسر: العادة والشأن، ودَانَهُ يدينه دِيناً بالكسر أذله واستعبده فَدَانَ، وفي الحديث: "الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت"[1].

والدِّينُ أيضا: الجزاء والمكافأة، يقال دَانَ يدينه دِيناً أي جازاه يقال: كما تُدِينُ تُدَانُ أي كما تُجازي تُجازى بفعلك وبحسب ما عملت، وقوله تعالى: {أَئِنَّا لَمَدِينُونَ}[الصافات: 53]، أي لمجزِيُّون محاسبون.

ومنه الدَّيَّانُ في صفة الله تعالى، والمَدِينُ العبد، والمَدِينةُ الأمة، كأنهما أذلهما العمل، ودَانَهُ ملكه، وقيل منه سمي المصر مَدِينةً. والدِّينُ أيضا: الطاعة، تقول: دَانَ له يدين دِيناً أي أطاعه. ومنه الدِّينُ والجمع الأَدْيَانُ، ويقال دَانَ بكذا دِيَانَةً فهو دَيِّنٌ وتَدَيَّنَ به فهو مُتَدَيِّنٌ ودَيَّنَهُ تَدْيِيناً وكله إلى دينه[2].

وفي معجم لغة الفقهاء: الديانة: مصدر دان، ما يتعبد به لله... كالملة والمذهب... أي: ما كان بين الإنسان وربه[3]، ومنه: الحكم ديانة كذا، وقضاء كذا؛ لأن القضاء يكون بحسب الأدلة الظاهرة، والديانة بحسب الحقيقة التي يفضي بها صاحبها، ولكن لا دليل عليها وهي التي يحاسب عليها عند الله[4].

---

(1) ضعيف.

(2) مختار الصحاح.

(3) معجم لغة الفقهاء محمد قلعجي.

(4) قاموس المعاني.

الدين اصطلاحا:

عرَّفه ربُّنا سبحانه وتعالى بأنَّه: الإسلام، فقال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}[آل عمران: 19].

فإذا أُطلق الدين أُريد به الإسلام.

وعليه وجب علينا تعريف الإسلام لغة واصطلاحا:

الإسلام لغة:

هو الانقياد والخضوع والذل؛ يقال: أسلم واستسلم؛ أي: انقاد[1].

ومنه قول الله تعالى: {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ}[الصافات: 103]؛ أي: فلما استسلما لأمر الله تعالى وانقادا له.

والإسلام شرعا:

يأتي على معنيين:

المعنى الأوَّل: الإسلام الكوني: ومعناه استسلام جميع الخلائق لأوامر الله تعالى الكونية القدرية.

ومنه قول الله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}[آل عمران: 83].

فكل مخلوق فهو مستسلم لله عز وجل ومنقاد لأوامره تعالى الكونية القدرية سواء رضي أم لم يرض؛ فلا مشيئة للمخلوق في صحة أو مرض، أو حياة أو موت، أو غنى أو فقر، ونحو ذلك، وقد سبق وتحدثنا على هذا في مبحث الحكم الكوني.

---

(1) انظر: "مختار الصحاح" (5/ 1952)، و"لسان العرب" 12/ 293.

المعنى الثاني: الإسلام الشرعي: ومعناه الاستسلام والانقياد لأوامر الله تعالى الشرعية.

والإسلام بالمعنى الشرعي ينقسم إلى عامٍّ وخاص:

الإسلام الشرعي بالمعنى العام فهو: الدين الذي جاء به جميع الرسل.

وعلى ذلك أدلَّة عامَّة، وخاصَّة:

الأدلَّة العامَّة:

منه قوله تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}[آل عمران: 19].

وقال تعالى: {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا}[المائدة: 44].

وقال تعالى: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[آل عمران: 85].

وأمَّا الأدلَّة الخاصة:

1 – فقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: {وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[يونس: 72].

2 – وقال تعالى حاكيا على إبراهيم عليه السلام: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}[آل عمران: 67].

3 – وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ}[البقرة: 131].

4 – وقال تعالى حاكيًا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ}[البقرة: 128].

5 – وقال تعلى على لسان موسى عليه السلام: {يا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ}[يونس: 84].

6 – وقال تعالى الحواريين من النصارى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا واشْهَدْ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ}[المائدة: 111].

7 – وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[يوسف: 111].

8 – وقال تعالى على لسان ملكة سبأ: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[النمل: 44].

9 – وقال صلى الله عليه وسلم: "الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[1].

ويتبيَّنُ من هذا أنَّ دين جميع الأنبياء والرسل والناس والجنِّ كافة هو الإسلام.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص فهو: الإسلام الذي جاء به نبينا ﷺ.

وقد بيَّن النبي ﷺ الإسلامَ بمعناه الخاص، وأنه الشرع الذي جاء به، بقوله صلى الله عليه وسلم: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"[2].

فيُلاحظُ ممَّا تقدَّم أنَّ الدين لا يتغيَّر وهو الإسلام وهو دين كل الأنبياء والرسل من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ، ولكنَّ الشريعة تتغير، فليست صلاة اليهود سابقا كصلاة النصارى أو صلاة المسلمين، ودليله قوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا}[المائدة: 48]، وبما أنَّ الدين يجمع أصول الدين وفروعه، وكذلك الشريعة، يكون الفرق بينهما في الكيفيَّة، أي كيفيَّة القيام بالفروع مع اتحاد الأصول،

(1) متفق عليه.

(2) صحيح الإمام مسلم.

فيكون الفرق بين الدين والشريعة هي السنَّة، وهي المبيِّنة للدين والقائمة عليه وكيفيَّة تطبيقه، قال ابن كثير في شرح الآية: والسنن مختلفة في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل[1]، ثم ذكر حديث: "نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد" يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله[2].

وقد يُطلق الدين ويُراد به الشريعة، والعكس أيضا، فإذا خصِّصت الشريعة كانت كما ذكرنا، وإلَّا فهي تُعمُّ وتندرج تحت أصل عام وهو الدين، ونخلص من هذا، بأنَّ الشريعة هي: طريقة الله تعالى التي فرضها على عباده في عبادته، فلكلِّ نبي طريقة، ودينهم واحد وهو الإسلام.

ومما سبق ذكره يتضح أن الإيمان بالرسل يتضمن خمسة أمور:

1 – الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.

2 – الإيمان بمن علمنا اسمه منهم، مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، ونوح، عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم بمن ذكر اسمه في الكتاب أو السنة على وجه التعيين، أما من لم نعلم اسمه منهم فنؤمن به إجمالًا؛ حيث نعتقد أن الله بعث في كل أمة نذيرًا.

3 – تصديق ما صح عنهم من أخبارهم.

4 – العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم.

5 – وأنَّ خاتمهم محمد ﷺ، وشريعته ناسخة لكل الشرائع، فلا يحوز العمل بغيرها.

---

(1) تفسير ابن كثير.

(2) السابق.

5) الإيمانُ باليومِ الآخرِ:

الخامسُ: الإيمانُ باليومِ الآخرِ، وهوَ: الاعتقادُ الجازمُ بيومِ القيامةِ، والإيمانُ بكلِّ مَا أخبرَ اللهُ تعالَى بهِ، وبكلِّ مَا أخبرَ بهِ رسولهُ ﷺ ممَّا يكونُ بعدَ الموتِ وحتَّى يدخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ، ولَا ننظرُ فِي أخبارِ الرَّسولِ ﷺ إنْ كانتْ متواترةً أوْ آحادًا، فكلُّ حديثٍ صحَّ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ يُعملُ بهِ سواءٌ كانَ فِي الأخبارِ أوِ الأحكامِ، متوترًا كانَ أمْ أحادًا.

فنؤمنُ بأمورِ الغيبِ بعدَ الموتِ، منْ سكراتِ الموتِ، قال نبي ﷺ: " لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ"[1]، وعالمِ البرزخِ، ونعيمِ القبرِ وعذابهِ وفتنتهِ وسؤالِ الملكينِ، فعن أبي هريرة رضِي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا قُبِرَ الميت، أو قال: أحدكم. أتاه مَلَكَان أسودان أزرقان يُقال لأحدهما: منكر، وللآخَر: نكير... "[2]

وأنَّ الشُّهداءَ أحياءٌ عندَ ربِّهمْ يرزقونَ، قال تعالى: {وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ}[آل عمران: 169].

وأن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أتيت، وفي رواية هدَّاب: مررت على موسى ليلة أُسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره".

وفي رواية: "مررت على موسى وهو يصلي في قبره"[3].

---

(1) صحيح البخاري 4449.

(2) أخرجه الترمذي برقم (1071)، وابن حبان برقم (780). قال الترمذي: حديث حسن غريب، وصححه ابن حبان، ويشهد له حديث البراء بن عازب رضِي الله عنه الآتي.

(3) كلا الروايتين عند مسلم في صحيحه، 2375 ورواه الإمام أحمد في مسنده (120/3، 148).

ونؤمنُ بيومِ القيامةِ الذِي يحيِي اللهُ تعالَى فيهِ الموتَى ويبعثُ العبادَ منْ قبورهمْ ثمَّ يحاسبهمْ، وبالنَّفخِ فِي الصُّورِ، وهيَ ثلاثُ نفخاتٍ، وقيلَ اثنينِ: والصحيح أنَّها ثلاثة نفخات: نفخةُ الفزعِ، ونفخةُ الصَّعقِ، ونفخةُ البعثِ والنُّشورِ، قال تعالى في نفخة الفزع: {وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ}﴿النمل: ٨٧﴾.

وقال تعالى في نفخة الصعق: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}﴿الزمر: ٦٨﴾.

كما قال تعالى في نفخة البعث: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}﴿يس: ٥١﴾.

فيقومُ النَّاسُ لربِّ العالمينَ حفاةً عراةً غرلًا، قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الكهف: 48].

وتدنُو منهمُ الشَّمسُ، ومنهمْ منْ يلجمهُ العرقُ، ومنهمْ منْ دونَ ذلكَ، فعن المقداد بن الأسود رضي الله عنه مرفوعاً: تُدْنَى الشمسُ يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار مِيل، قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد: فوالله ما أدري ما يعني بالميل، أمسافةَ الأرض أم الميلَ الذي تكتحل به العين؟ قال: "فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حِقْوَيْهِ، ومنهم من يُلْجِمُهُ العرقُ إلجامًا"، قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: "يَعْرَقُ الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، ويُلْجِمُهُمْ حتى يبلغ آذانهم"[2].

---

(1) رواه مسلم 2846.

(2) متفق عليه.

وأوَّلُ منْ يبعثُ وتنشقُّ عنهُ الأرضُ هوَ نبيُّنَا محمَّدٌ ﷺ قال النبي: "أنا سيِّدُ ولدِ آدَمَ ولا فَخرَ، وبِيَدي لِواءُ الحمدِ ولا فَخرَ، وما من نبيٍّ –آدَمَ فمَن سِواه– إلَّا تحتَ لِوائي، وأنا أوَّلُ مَن تَنشَقُّ عنه الأرضُ ولا فَخرَ"(1).

وتنشرُ صحفُ الأعمالِ، فيُكشفُ المخبوءُ، ويظهرُ المستورُ، ويحصَّلُ مَا فِي الصُّدورِ، قال تعالى: {وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ}[التكوير: 10].

ويكلِّمُ اللهُ تعالَى عبادهُ ليسَ بينهُ وبينهمْ ترجمانٌ، ويدعَى النَّاسُ بأسمائهمْ وأسماءِ آبائهمْ، قال رسول الله ﷺ: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان"(2).

ونؤمنُ بالميزانِ الذي لهُ كفَّتانِ توزنُ بهِ أقوالُ العبادِ، وأعمالهمْ، وصحُفهمْ، وأبدانهمْ:
فدليلُ وزنِ الأقوالِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ"(3).

ودليلُ وزنِ الأعمالِ مَا صحَّ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ"(4).

ودليلِ وزنِ صُحُفِ الأعمالِ حديثُ البطاقةِ عنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا

(1) أخرجه الترمذي (3615)، وابن ماجه (4308)، وأحمد (10987) باختلاف يسير.

(2) خرجه مسلم والبخاري.

(3) رواه البخاري.

(4) صحيح سنن الترمذي.

شَيْئًا أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً فَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضرْ وَزْنَكَ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ قَالَ فَتُوضَعُ السِّجِلاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ"[1].

ودليلُ وزنِ الأشخاصِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قالَ: "إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ وَقَالَ اقْرَءُوا (فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)[2]، وكذلكَ مَا ثبتَ منْ أنَّ ابْنِ مَسْعُودٍ كَانَ يَجْتَنِي سِوَاكًا مِنَ الأَرَاكِ وَكَانَ دَقِيقَ السَّاقَيْنِ فَجَعَلَتِ الرِّيحُ تَكْفَؤُهُ فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مِمَّا تَضْحَكُونَ، قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنْ دِقَّةِ سَاقَيْهِ فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ[3].

---

(1) صحيح سنن الترمذي.

(2) رواه البخاري.

(3) حسن إسناده الألباني في شرح الطحاوية برقم 571 ص 418.

وتنشرُ الدَّواوينُ فآخذٌ كتابهُ بيمينهِ وآخذٌ كتابهُ بشمالهِ أوْ منْ وراءِ ظهرهِ، قالَ تعالَى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ}[الحاقة: 19]، وقالَ تعالَى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ}[الحاقة: 25]، وقالَ تعالَى: {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَاءَ ظَهْرِهِۦ}[الإنشقاق: 10]، ونؤمنُ بحوضِ النَّبيِّ ﷺ ماؤهُ أشدُّ بياضًا منَ اللَّبنِ وأحلَى منَ العسلِ وريحهُ أطيبُ منَ المسكِ وآنيتهُ عددَ نجومِ السَّماءِ وطولهُ شهرٌ وعرضهُ شهرٌ منْ شربَ منهُ لمْ يظمأْ أبدًا، قالَ تعالَى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ}[الكوثر: 1]، ويُحرمُ منَ الشُّربِ منهُ منِ ابتدعَ فِي دينِ اللهِ تعالَى فزادَ فيهِ بهواهُ مَا ليسَ منهُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي"[1].

والصِّراطُ منصوبٌ علَى متنِ جهنَّمَ يتجاوزهُ الأبرارُ كلٌّ علَى حسبِ عملهِ ويزلُّ عنهُ الفجَّارُ، قالَ تعالَى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً}[مريم: 71]، قالَ الطبرِي بإسنادهِ: عنْ عبدِ اللهِ فِي قولهِ (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا) قالَ: الصِّراطُ علَى جهنَّمَ مثلُ حدّ السَّيفِ، فتمرّ الطَّبقةُ الأولَى كالبرقِ، والثَّانيةُ كالرِّيحِ، والثَّالثةُ كأجودِ الخيلِ، والرَّابعةُ كأجودِ البهائمِ،

(1) رواه البخاري ومسلم.

ثمَّ يمرّونَ، والملائكةُ يقولونَ: اللَّهمّ سلِّم سلِّم[1].

ثمَّ منْ نجَا منْ أهلِ الجنَّةِ يتحاسبونَ علَى قنطرةٍ دونَ الجنَّةِ يتقاصُّ أهلُ الإيمانِ بعضهمْ منْ بعضٍ، فعنْ أبِي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "يخلصُ المؤمنونَ منَ النَّارِ، فيحبسونَ علَى قنطرةٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ فيقصُّ لبعضهمْ منْ بعضٍ مظالمَ كانتْ بينهمْ فِي الدُّنيَا حتَّى إذَا هذِّبُوا ونقُوا أُذنَ لهمْ فِي دخولِ الجنَّةِ[2].

ونؤمن بأنَّ الجنَّةُ والنَّارُ مخلوقتانِ قبلَ الخلقِ لَا تفنيانِ أبدًا، قالَ تعالَى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}[النساء: 122]، وقالَ تعالَى: {إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}[النساء: 169].

والموتُ يؤتَى بِهِ يومَ القيامةِ علَى صورةِ كبشٍ بينَ الجنَّةِ والنَّارِ فيذبحُ فيصيرُ الخلقُ فِي خلودٍ لَا فناءَ بعدهُ، فعنْ أبِي سعيدٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "يجاءُ بالموتِ يومَ القيامةِ كأنَّهُ كبشٌ أملحُ، فيوقفُ بينَ الجنَّة والنَّارِ، فيقالُ يَا أهلَ الجنَّةِ هلْ تعرفونَ هذَا؟ فيشرئبُّونَ وينظرونَ ويقولونَ: نعمْ هذَا الموتُ، ويُقالُ يَا أهلَ النَّارِ هلْ تعرفونَ هذَا؟ فيشرئبُّونَ وينظرونَ ويقولونَ: نعمْ هذَا الموتُ، قالَ: فيُؤمرُ بهِ فيذبحُ، ثمَّ يُقالُ: يَا أهلَ الجنَّةِ خلودٌ فلَا موتٌ، ويَا أهلَ النَّارِ خلودٌ فلَا موتٌ"[3].

ونؤمنُ بشفاعةِ نبيِّنَا ﷺ وسائرِ النبيِّينَ والملائكةِ والشُّهداءِ والصدِّيقينَ والصالحينَ،

---

(1) تفسير الطبري.

(2) فتح البراي.

(3) رواه البخاري ومسلم.

ويُخرجُ اللهُ تعالَى من النار خلقًا بغيرِ شفاعةٍ بفضلِهِ ورحمتِهِ، فعنْ أَبِي سعيدٍ الخدريِّ قالَ: قالَ رسول اللهِ ﷺ: "أنا سيدُ ولدِ آدمَ ولَا فخر، وأنَا أوَّلُ من تنشقُّ الأرضُ عنه يومَ القيامةِ ولَا فخر، وأنَا أوَّلُ شافعٍ وأولُ مشفَّعٍ ولَا فخر، ولواءُ الحمدِ بيدِي يومَ القيامةِ ولا فخرَ"[1].

وعنْ أَبِي سعيدٍ الخدريِّ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ النَّبيِّ ﷺ: "... فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: شفعتِ الملائكةُ، وشفعَ النبيُّونَ، وشفعَ المؤمنونَ، ولمْ يبقَ إلَّا أرحمُ الرَّاحمينَ، فيقبضُ قبضةً منَ النَّارِ فيُخرجَ منهَا قوماً لمْ يعملُوا خيراً قطُّ قدْ عادُوا حمماً"[2].

وليوم القيامة شأن عظيم أكثر الأصول جميعًا تناولًا في القرآن.

من ذلك كثرة أسماء اليوم الآخر، وكل اسم يدل على ما سيقع فيه من الأهوال.

فمن أسمائه في القرآن: القيامة، والساعة، والآخرة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم التلاق، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، والآزفة، والطامة، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والواقعة، وغيره...

كذلك تسمية سور القرآن بأسماء وصفات اليوم الآخر.

مثل: القيامة، الواقعة، الحاقة، الغاشية، القارعة، النبأ...

وتارة تسمى السور باسم الأحداث الكونية التي تمهد لهذا اليوم مثل: الدخان، التكوير، الانفطار، الانشقاق، الزلزلة.

وتارة باسم ما يقع فيها، مثل سور: الأعراف، الزمر، الجاثية، الحشر، التغابن، المعارج.

فهذه أسماء (سبع عشرة) سورة تتعلق بالآخرة، ولم يقع مثل هذا قط لأي أصل من أصول الإيمان في القرآن الكريم.

---

(1) صحيح ابن ماجه.

(2) رواهُ البخاري ومسلم.

6) الإيمانُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ:

السَّادسُ: الإيمانُ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ، وهوَ: الاعتقاد الجازمُ بأنَّ كلَّ خيرٍ وشرٍّ بقضاءِ اللهِ تعالَى وقدرِهِ، وأنَّ اللهَ تعالَى فعَّالٌ لمَا يريدُ فكلُّ شيءٍ بإرادتهِ ولَا يخرجُ عنْ مشيئتهِ وتدبيرِهِ شيءٌ، وأنَّه سبحانهُ عَلِمَ كلَّ مَا كانَ، ومَا يكونُ، ومَا سوفَ يكونُ، منَ الأشياءِ قبلَ أنْ تكونَ فِي الأزلِ، وعلمَ إن كان شيءٌ سيكون، كيف كان سيكون، وقدَّرَ المقاديرَ للكائناتِ حسبمَا سبقَ بهِ علمهُ واقتضتْ حكمتهُ، وعلمَ أحوالَ عبادهِ وأرزاقهمْ وآجالهمْ وأعمالهمْ.

وملخصُّهُ: هوَ مَا سبقَ بهِ العلمُ وجرَى بهِ القلمُ ممَّا هوَ كائنٌ إلَى الأبدِ، قالَ تعالَى {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا}[الأحزاب: 38]

وقالَ تعالَى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}[القمر: 49].

ودليلُ وجوبُ الإيمانِ بالقدرِ:

مَا رواهُ يحيَى بنُ يعمرَ قالَ: "كانَ أوَّلَ مَن قالَ في القَدَرِ بالبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الجُهَنِيُّ، فانْطَلَقْتُ أنا وحُمَيْدُ بنُ عبدِ الرَّحْمَنِ الحِمْيَرِيُّ حاجَّيْنِ، أوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنا: لو لَقِينا أحَدًا مِن أصْحابِ رَسولِ اللهِ ﷺ، فَسَأَلْناهُ عَمَّا يقولُ هَؤُلاءِ في القَدَرِ، فَوُفِّقَ لنا عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ داخِلًا المَسْجِدَ، فاكْتَنَفْتُهُ أنا وصاحِبِي أحَدُنا عن يَمِينِهِ، والآخَرُ عن شِمالِهِ، فَظَنَنْتُ أنَّ صاحِبِي سَيَكِلُ الكَلامَ إلَيَّ، فَقُلتُ: أبا عبدِ الرَّحْمَنِ إنَّه قدْ ظَهَرَ قِبَلَنا ناسٌ يَقْرَؤُونَ القُرْآنَ، ويَتَقَفَّرُونَ العِلْمَ، وذَكَرَ مِن شَأْنِهِمْ، وأنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أنْ لا قَدَرَ، وأنَّ الأمْرَ أُنُفٌ، قالَ: فإذا لَقِيتَ أُولَئِكَ فأخْبِرْهُمْ أنِّي بَرِيءٌ منهمْ، وأنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، والذي يَحْلِفُ به عبدُ اللهِ بنُ عُمَرَ لو أنَّ لأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فأنْفَقَهُ ما قَبِلَ اللَّهُ منه حتَّى يُؤْمِنَ بالقَدَرِ... ثمَّ ساقَ حديثَ جبريلَ[1].

---

(1) أوَّلُ حديثٍ في باب الإيمانِ من صحيح الإمام مسلم.

ومراتبُ القدرِ أربعةٌ لَا يتحقَّقُ إيمانُ العبدِ بالقدرِ إلَّا بهَا:

الأولَى، العلمُ: وهوَ الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالَى عالمٌ بكلِّ مَا كانَ ومَا يكونُ ومَا سيكونُ ومَا لمْ يكنْ لوْ كانَ كيفَ سيكونُ جملةً وتفصيلًا، وأنَّهُ علمَ مَا الخلقُ عاملونَ قبلَ خلقهِمْ، قالَ تعالَى {إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[العنكبوت: 62].

الثَّانية، الكتابة: وهوَ الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالَى كتبَ مَا سبقَ بهِ علمهُ منْ مقاديرِ المخلوقاتِ فِي اللَّوحِ المحفوظِ، وهوَ الكتابُ الذِي لمِ يفرِّطْ فيهِ منْ شيءٍ، فكلُّ مَا جرَى ومَا يجرِي ومَا سيجرِي إلَى يومِ القيامةِ مكتوبٌ عندهُ فِي أمِّ الكتابِ، قالَ تعالَى {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}[يس: 12]، قالَ الطَّبريُّ: وقولهُ (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) يقولُ تعالَى ذكرهُ: وكلُّ شيءٍ كانَ أوْ هوَ كائنٌ أحصيناهُ، فأثبتناهُ فِي أمِّ الكتابِ، وهوَ الإمامُ المبينُ... عنْ مجاهدٍ (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) قالَ: فِي أمِّ الكتابِ، وعنْ قتادةَ، قولهُ (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) كلُّ شيءٍ محصًى عندَ اللهِ فِي كتابٍ.

... قالَ ابنُ زيدٍ، فِي قولهِ (وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) قالَ: أمُّ الكتابِ التِي عندَ اللهِ فيهَا الأشياءُ كلُّهَا هيَ الإمامُ المبينُ[1].

الثَّالثةُ، المشيئةُ: وهوَ الإيمانُ بأنَّ كلَّ شيءٍ يجرِي فِي هذَا الكونِ فهوَ بإرادةِ اللهِ تعالَى ومشيئتهِ الدَّائرةِ بينَ الحكمةِ والرَّحمةِ، لَا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهمْ يسألونَ، فمشيئتهُ نافذةٌ وقدرتهُ شاملةٌ، مَا شاءَ اللهُ كانَ ومَا لمْ يشأْ لمْ يكنْ، لَا يخرجُ عنْ إرادتهِ شيءٌ، قالَ تعالَى {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}[الإنسان: 30].

الرَّابعةُ، الخلقُ: وهوَ الإيمانُ بأنَّ اللهَ تعالَى خالقُ كلِّ شيءٍ لَا خالقَ غيرهُ ولَا ربَّ سواهُ، وأنَّ كلَّ مَا سواهُ مخلوقٌ، فهوَ خالقُ كلَّ عاملٍ وعملهِ، وكلَّ متحرِّكٍ وحركتهِ،

(1) تفسير الطَّبري.

قالَ تعالَى {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا}[الفرقان: 2]، وأنَّ كلَّ مَا يجرِي منْ خيرٍ وشرٍّ وكفرٍ وإيمانٍ وطاعةٍ ومعصيةٍ، شاءهُ اللهُ تعالَى وقدَّرهُ وخلقهُ، قالَ تعالَى: {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}[الصافات: 96]، وأنَّهُ يحبُ الإيمانَ والطَّاعةَ، ويكرهُ الكفرَ والمعصيةَ، قالَ تعالَى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[البقرة: 222]، وقالَ تعالَى: {فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ}[آل عمران: 76]، وقالَ سبحانهُ: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[آل عمران: 134]، وقالَ جلَّ جلالهُ: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[آل عمران: 159]، وقالَ جلَّ وعلَا: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[المائدة: 42]، وقالَ تعالَى: {وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}[البقرة:276]، وقالَ سبحانهُ: {فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ}[آل عمران: 32]، وقالَ جلَّ جلالهُ: {وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[آل عمران: 57]، وقالَ جلَّ وعلَا: "إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً"[النساء: 36].

فلا يعني أنَّ الله شاء خلق الشرِّ أنَّه يحبُّه بل خلقه فتنة.

ونؤمنُ أنَّ العبادَ لهمْ قدرةٌ علَى أفعالهمْ واختيارٌ وإرادةٌ لمَا يصدرُ منهمْ منْ طاعةٍ ومعصيةٍ، قالَ تعالَى: {فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا}[النبأ: 39]، وقالَ تعالَى: {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}[الكهف: 29]، لكنَّ مشيئتهمْ وإرادتهمْ تابعةٌ لمشيئةِ اللهِ تعالَى وإرادتهِ، خلافًا للجبريَّةِ الذينَ يقولونَ: إنَّ العبدَ مجبرٌ علَى أفعالهِ ليسَ لهُ إختيارٌ، وللقدريةِ الذينَ يقولونَ: إنَّ العبدَ لهُ إرادةٌ مستقلَّةٌ وأنَّهُ يخلقُ فعلهُ وأنَّ إرادتهُ ومشيئتهُ خارجةٌ عنْ إرادةِ اللهِ تعالَى ومشيئتهِ، ولكنَّ الحقَّ مَا عليهِ أهلُ السنَّةِ، أنَّ الخلقَ لهمْ مشيئةٌ خاصَّةٌ، لكنَّهَا مقيَّدةٌ بمشيئةِ اللهِ تعالَى، قالَ تعالَى: {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[التكوير:29][1].

(1) خالد بن سعود البليهد – موقع صيد الفوائد.

{العمل الصالح}

لقد ذكر الله تعالى العمل الصالح في كتابه، وأثنى على أصحابه في مواقع كثيرة فقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدً﴾ [الكهف: 110].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: 97].

وقال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة: 25].

وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة: 82].

وقال جلَّ من قائل: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}[البقرة: 277].

وقال سبحانه وتعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}[آل عمران: 57].

العملِ الصَّالحِ فِي اللُّغةِ:

العملُ، مأخوذٌ منْ عَمِلَ: العينُ والميمُ واللَّامُ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، وهوَ عامٌ فِي كلِّ فعلٍ يُفعلُ، وعملَ يعمَلُ عملاً، فهوَ عاملٌ، واعتملَ الرَّجلُ: إذَا عملَ بنفسهِ، والعمالةُ: أجرُ مَا عُمِلَ، والمُعاملةُ: مصدرٌ منْ قولكَ: عَامَلْتهُ، وأنَا أُعاملهُ معاملةً[1].

والصَّالحُ مأخوذٌ منْ صلَحَ يَصلَحُ ويَصلُحُ، صَلاحًا وصَلاحِيةً وصُلُوحًا، فهوُ صالِحٌ، والمفعولُ مصلوحٌ لهُ، وصَلُحَ أَمْرُهُ أَوْ حَالُهُ: صَارَ حَسَناً وَزَالَ عَنْهُ الْفَسَادُ، وعَفَّ، وفَضُلَ، وصَلُحَ الشَّيءُ: كان نافِعاً أو مُناسِباً[2].

ويمكنُ تعريفُ العملِ الصَّالحِ اصطلاحًا بأنّهُ:

أيُّ عملٍ أوْ فعلٍ أوْ قولٍ يرضاهُ اللهُ تعالَى منْ عبادهِ، ويقومُ بهِ العبدُ بقصدِ التقرُّبِ بهِ إلَى اللهِ تعالَى، وقيلَ: هوَ العملُ بمَا جاءَ بهِ القرآنُ الكريمُ، والسنَّةُ المطهَّرةُ، وجميعُ مَا يوافقُ شرعَ اللهِ تعالَى، ويصحُّ تعريفهُ بأنَّهُ: الانصياعُ لأمرِ اللهِ تعالَى[3].

شروط قبول العمل الصالح:

ولقبولِ العملِ الصَّالحِ ثلاثةُ شروطٍ وهيَ:

1) الشرطُ الأوَّلُ: الإسلامُ:

وهوَ لغةً: الانقيادُ والخضوعُ والذلُّ؛ يقالُ: أسلمَ واستسلمَ؛ أيِ: انقادَ[4].

واصطلاحًا: هوَ كمَا عرَّفهُ الإمامُ محمَّدٌ بنُ عبدِ الوهَّابِ رحمهُ اللهُ تعالَى: الإسلامُ هوَ الاستسلامُ للهِ بالتَّوحيدِ والانقيادِ لهُ بالطَّاعةِ، والبراءةِ منَ الشِّركِ وأهلهِ[5]. اهـ

---

(1) أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، صفحة 145، جزء 4 – بتصرّف.

(2) معجم المعاني.

(3) "التفسير المطول – سورة النحل 016 – الدرس (20–21): تفسير الآيات 97 – 112، عن العمل الصالح"، موسوعة النابلسي، 12–6–1987، اطّلع عليه بتاريخ 14–4–2017. بتصرّف.

(4) مختار الصحاح – 5/ 1952 – و"لسان العرب 12/ 293.

(5) الأصول الثَّلاثة لحمد بن عبد الوهاب.

والإسلامُ فِي الشَّرعِ يأتِي علَى معنيينِ:

المعنَى الأوَّلُ: الإسلامُ الكوني: ومعناهُ استسلامُ جميعِ الخلائقِ لأوامرِ اللهِ تعالَى الكونيَّةِ القدريَّةِ.

المعنَى الثَّانِي: الإسلامُ الشَّرعِي: ومعناهُ الاستسلامُ والانقيادُ لأوامرِ اللهِ تعالَى الشَّرعيَّةِ.

ومرادنَا هوَ النَّوعُ الثَّاني (الشَّرعِي) لأنَّ النَّوعَ الأوَّلَ (الكونِي) لَا يترتَّبُ عليهِ ثوابٌ ولَا عقابٌ، فكلُّ مخلوقٍ هوَ مستسلمٌ للهِ تعالَى ومنقادٌ لأوامرهِ الكونيَّةِ القدريَّةِ سواءً رضيَ أمْ لمْ يرضَ؛ فلَا مشيئةَ للمخلوقِ فِي صحَّةٍ أوْ مرضٍ، أوْ حياةٍ أوْ موتٍ، أوْ غنًى أوْ فقرٍ، ونحوِ ذلكَ، قالَ تعالَى: {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}[آل عمران: 83].

وأمَّا النَّوعُ الثَّانِي (الشَّرعِي) فهوَ علَى قسمينِ:

إسلام شرعيٌّ عامٌّ:

إسلام شرعيٌّ خاصٌّ:

فالإسلامُ العامُ هوَ: الدِّينُ الذِي جاءَ بِهِ الانبياءُ جميعًا، كما سبق وأشرنا.

والإسلامُ الخاصُ: هوَ الدِّينُ الذِي جاءَ بِهِ نبيُّنَا محمَّدٌ ﷺ.

وقدْ بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ الإسلامَ بمعناهُ الخاصِ، وأنَّهُ الدِّينُ الذِي جاءَ بِهِ، بقولهِ ﷺ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"[1].

وهذَا هوَ الإسلامُ الذِي هوَ الشَّرطُ الأوَّلُ فِي قبولِ العملِ.

(1) من حديث جبريل أخرجه مسلم.

2) الشَّرطُ الثَّانِي، الإخلاصُ:

والإخلاصُ فِي اللُّغةِ:

مشتقٌّ منْ خَلَصَ، بفتحِ الخاءِ واللَّامِ خلصَ يخلصُ خلوصًا وإخلاصًا، وهوَ فِي اللُّغةِ بمعنَى صفَا وزالَ عنهُ شوبهُ إذَا كانَ فِي الماءِ أوِ اللَّبنِ أوْ أيِّ شيءٍ فيهِ شوبٌ، يعنِي تغيَّرَ لونهُ بشيءٍ يشيبهُ أيْ يغيِّرهُ فقمتَ وصفَّيتَهُ وأخرجتَ هذهِ الشوائبَ التِي لوَّثتهُ، فيقالُ: إنَّكَ أخلصتهُ يعنِي صفَّيتهُ ونقَّيتهُ.

الإخلاصُ فِي الاصطلاحِ:

يعنِي صدقَ العبدِ فِي توجُّههِ إلَى اللهِ تعالَى اعتقادًا وعملاً، قالَ تعالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين}[البينة: 5].

وقالَ تعالَى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ}[النساء: 146].

يقولُ الهرويُّ: "الإخلاصُ تصفيةُ العملِ منْ كلِّ شوبٍ".

ويقولُ سفيانُ الثَّورِي: "مَا عالجتُ شيئًا أشدَّ عليَّ منْ نيَّتِي؛ إنَّهَا تتقلَّبُ عليَّ"[1].

وخلاصةُ الإخلاصُ هوَ:

صرفُ العبادةِ للهِ تعالَى وحدهُ لَا شريكَ له، لَا يشوبهَا شركٌ أكبرٌ ولَا أصغرٌ، فالشِّركُ الأكبرُ محبطٌ للعملِ ومخرجٌ منَ الملَّةِ، كمنْ دعَا غيرَ اللهِ تعالَى فِي مَا لَا يقدرُ عليهِ إلَّا اللهُ تعالَى، والشِّركُ الأصغرُ غيرُ مخرجٍ منَ الملَّةِ ولكنَّهُ محبطٌ للعملِ بعينهِ، كسائرِ الرِّياءِ وهوَ الشِّركُ الخفيُّ، وبينَ معنَى الإخلاصِ اللُّغوِي والاصطلاحِي تلازمٌ وتكاملٌ، فقد تعلَّقَ العملُ الصَّالحُ بالإخلاصِ وإلَّا فهوَ عملٌ غيرُ صالحٍ وكذلكَ لَا يكملُ العملُ الصَّالحُ إلَّا بالإخلاصِ.

---

(1) كتاب الإخلاص – عبد العزيز عبد اللطيف.

3) الشَّرطُ الثَّالثُ، المتابعةُ:

وهوَ متابعةُ هدي النَّبيِّ ﷺ وعدمِ الخروجِ عنْ سنَّتهِ بحالٍ، فقدْ قالَ ﷺ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"(1)

وللبخاريِّ: منْ أحدثَ فِي أمرنَا هذَا مَا ليسَ منهُ فهوَ ردٌّ.

وقالَ ﷺ: "إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي(2).

وفِي الأحاديثِ دلالةٌ واضحةٌ أنَّ الابتداعَ فِي الدِّينِ رادٌّ للعملِ، فكيفَ لَا يُردُّ وقدْ قالَ اللهُ تعالَى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}[المائدة: 3]، قالَ عليٌّ بنُ أبِي طلحةَ، عنِ ابنِ عبَّاسَ قولهُ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) وهوَ الإسلامُ، أخبرَ اللهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ والمؤمنينَ أنَّهُ أكملَ لهمُ الإيمانَ، فلَا يحتاجونَ إلَى زيادةٍ أبدًا، وقدْ أتمَّهُ اللهُ فلَا ينقصهُ أبدًا، وقدْ رضيهُ اللهُ فلَا يسخطهُ أبدًا(3). اهـ

فالدِّينُ قدِ اكتملَ فمَا زادَ منْ زادَ فِي الدِّين إلَّا بهوَى نفسهِ، وهوَ فِي نفسِ الوقتِ يتَّهمُ أبَا القاسمَ ﷺ بإحدَى ثلاثٍ:

إمَّا أنَّ الرَّسولَ ﷺ ينقصهُ العلمُ.

أوْ أنَّه نسيَ شيأً منَ الدِّينِ فلمْ يبلِّغهُ.

أوْ أنَّهُ خانَ الرِّسالةَ.

---

(1) مسلم – 1718.

(2) رواه البخاري (6212) ومسلم (2290).

(3) تفسير ابن كثير.

وفِي الثَّلاثةِ المبتدعُ كاذبٌ:

فالرَّسولُ ﷺ أعلمُ أهلِ الأرضِ ودليلهُ قولهُ تعالَى: {عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}[النجم: 5] والمَعْنِيُّ بشديدِ القوَى هوَ جبريلُ ﷺ فإنْ كانَ الرَّسولُ ينقصهُ علمٌ فجبريلُ كذلكَ لأنَّهُ مُعلِّمهُ، وهذَا محالٌ، كمَا أنَّ الرَّسولَ ﷺ لَا ينسَى العلمَ بأمرِ اللهِ تعالَى، قالَ تعالَى: {سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}[الأعلى: 6] قالَ الطبريُّ: عنْ مجاهدٍ، قولهُ: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى) قالَ: كانَ يتذكَّرُ القرآنَ فِي نفسهِ مخافةَ أنْ ينسَى، فقالَ قائلُوا هذهِ المقالةِ: معنَى الاستثناءِ فِي هذَا الموضعِ علَى النِّسيانِ، ومعنَى الكلامِ: فلَا تنسَى، إلَّا مَا شاءَ اللهُ أنْ تنساهُ، ولَا تذكُرَهُ، قالُوا: ذلكَ هوَ مَا نسخهُ اللهُ منَ القرآنِ، فرفعَ حكمهُ وتلاوتهُ[1].

كمَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مشهورٌ بالصِّدقِ والأمانةِ منْ قبلِ بعثتهِ، فكيفَ وهوَ سيِّدُ المرسلينَ، ففِي الصَّحيحينِ أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَا بدأَ يجهرُ بدعوتهِ سألَ النَّاسَ: ... لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، وفِي روايةٍ: مَا جربنَا عليكَ كذبًا[2].

وقدْ أُثرَ عنِ الإمامِ مالكٍ رحمهُ اللهُ تعالَى أنَّهُ قالَ: منِ ابتدعَ فِي الإسلامِ بدعةً يراهَا حسنةً، فقدْ زعمَ أنَّ محمَّدًا ﷺ خانَ الرِّسالةَ، لأنَّ اللهَ تعالَى يقولُ: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" فمَا لمْ يكنْ يومئذٍ دينًا فلَا يكونُ اليومَ دينًا[3]. اهـ

فكلُّ عملٍ لمْ تتوفَّرْ فيهِ الشُّروطُ السَّابقةُ فهوَ غيرُ مقبولٍ، فاللهُ تعالَى لَا يقبلُ العملَ منَ الكافرِ، قالَ تعالَى: {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[المائدة:5].

---

(1) تفسير الطبري.

(2) أخرجه البخاري 4770، ومسلم (208) باختلاف يسير.

(3) البخاري ومسلم.

وعنْ عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا قالتْ: يَا رسولَ اللهِ، إنَّ ابنَ جدعانَ كانَ فِي الجاهليةِ يصلُ الرَّحمَ ويطعمُ المسكينَ فهلْ ذاكَ نافعهُ؟ قالَ: لَا ينفعهُ، إنَّهُ لمْ يقلْ يومًا ربِّ اغفرْ لْي خطيئتْي يومَ الدِّينِ[1].

فالإسلامُ شرطٌ لقبولِ العملِ الصالحِ والإثابةِ عليهِ فِي الدَّارِ الآخرةِ، قالَ تعالَى: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ}[التوبة: 54].

كمَا أنَّ اللهَ تعالَى لَا يقبلُ عملًا بلَا إخلاصٍ، ونقيضُ الإخلاصِ هو الشِّركُ، قالَ تعالَى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الزمر:65].

وقالَ ﷺ فِي مَا يرويهِ عنْ ربِّهِ تعالَى: "أنَا أغنَى الشُّركاءِ عنِ الشِّركِ، منْ عملَ عملًا أشركَ فيهِ معِي غيرِي تركتهُ وشركهُ"[2]، وفِي روايةِ ابنِ ماجهْ: "فأنَا منهُ بريءٌ وهوَ للذِي أشركَ".

كمَا أنَّ اللهَ تعالَى لَا يقبلُ عملًا ليسَ علَى هديِ محمَّدٍ ﷺ، ودليلهُ قولهُ ﷺ: "مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ"[3].

والبدعةُ شرُّهَا عظيمٌ وقدْ حذَّرَ منهَا الرَّسولُ ﷺ والصَّحابةُ رضوانُ اللهِ عليهمْ والأئمَّةُ رحمهمُ اللهُ تعالَى، قالَ الإمامُ الأوزاعيُّ: اتَّقُوا اللهَ معشرَ المسلمينَ، واقبلُوا نصحَ النَّاصحينَ، وعظةَ الواعظينَ، واعلمُوا أنَّ هذَا العلمَ دينٌ فانظرُوا مَا تصنعونَ وعمَّنْ تأخذونَ وبمنْ تقتدونَ ومنْ علَى دينكمْ تأمنونَ، فإنَّ أهلَ البدعِ كلَّهمْ مبطلونَ أفّاكونَ

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه مسلم.

آثمونَ لَا يرعوونَ ولَا ينظرونَ ولَا يتّقونَ... إِلَى أنْ قالَ: فكونُوا لهمْ حذرينَ متّهمينَ رافضينَ مجانبينَ، فإنَّ علماءكمُ الأوَّلينَ ومنْ صلحَ منَ المتأخِّرينَ كذلكَ كانُوا يفعلونَ ويأمرونَ[1].

وقالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ: إنَّ للهِ ملائكةً يطلبونَ حلقَ الذِّكرِ، فانظرْ معَ منْ يكونُ مجلسكَ، لَا يكونُ معَ صاحبِ بدعةٍ فإنَّ اللهَ تعالَى لَا ينظرُ إليهمْ، وعلامةُ النِّفاقِ أنْ يقومَ الرَّجلُ ويقعدَ معَ صاحبِ بدعةٍ، وأدركتُ خيارَ النَّاسِ كلَّهمْ أصحابُ سنَّةٍ وهمْ ينهونَ عنْ أصحابِ البدعةِ[2].

وعنِ ابنِ مسعودٍ قالَ: يأتِي علَى النَّاسِ زمانٌ تكونُ السنَّةُ فيهِ بدعةٌ والبدعةُ فيهِ سنّةً والمعروفُ منكرًا والمنكرُ معروفًا وذلكَ إذَا تبعُوا واقتدُوا بالملوكِ والسَّلاطينِ فِي دنياهمْ[3].

وعنْ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ يقولُ فِي خطبتهِ: "أمَّا بعدُ، فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرُ الهديِ هديُ محمَّدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدَثاتهَا وكلَّ بدعةٍ ضلالةٍ"[4].

---

(1) تاريخ دمشق 362/6.

(2) حلية الأولياء 104/8.

(3) رواه ابن وضاح – البدع والنَّهي عنها – سنده معضل فقد رواه زهير بن عابد وبينه وبين ابن مسعود 206 سنة – وقال ابن عبد البر بعد حديث ذكره من روايه محمد بن وضاح عن زهير بن عباد عن بشر بن الحارث: هذا الحديث وإن كان ضعيف لضعف زهير بن عباد فإن فيه ما تسكن إليه النفس من جهة اشتهار الحديث عند جماعة.

(4) رواه مسلم.

{اقترانُ الإيمانِ بالعملِ الصالح}

تكرَّرتْ جملةُ: (الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) في القرآن (51) مرَّةً.

وهذهِ الجملةُ هيَ الصِّيغةُ، وهيَ معظمُ مَا اقترنَ بهِ الإيمانُ معَ العملِ الصَّالحِ فِي صيغِ الاقترانِ بينهمَا، والتِي بلغتْ (69) مرَّةً[1].

وهذَا الاقترانُ يدلُّ علَى ارتباطهمَا الوثيقِ وتلازمهمَا المستمرِّ، فلَا إيمانَ بدونِ عملٍ صالحٍ يعبِّرُ عنهُ ويبرهنُ عليهِ، ولَا قيمةَ للعملِ الصَّالحِ بدونِ إيمانٍ يقومُ عليهِ ويركنُ إليهِ، فالإيمانُ بدونِ عملٍ كالشجرِ بلَا ظلٍّ ولَا ثمرٍ، والعملُ الصَّالحُ بدونِ إيمانٍ كالجسدِ بلَا روحٍ[2].

المقصودُ بالعملِ الصَّالحِ: مَا أحبَّهُ اللهُ تعالَى ورسولهُ ﷺ، وهوَ المشروعُ المسنونُ.

ولهذَا كانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ فِي دعائهِ: اللَّهمَّ اجعلْ عملِي كلَّهُ صالحًا، واجعلهُ لوجهكَ خالصًا، ولَا تجعلْ لأحدٍ فيهِ شيئًا[3].

وقالَ ابنُ عاشورٍ رحمهُ اللهُ تعالَى: العملُ الصالحُ: هوَ العملُ الذِي يصلحُ عاملهُ فِي دينهِ ودنياهُ صلاحًا لَا يشوبهُ فسادٌ، وذلكَ العملُ الجارِي علَى وفقِ مَا جاءَ بهِ الدِّينُ[4].

والعملُ الصَّالحُ واسعُ الدَّائرةِ إلَى حدٍّ يشملُ كلَّ شيءٍ فِي الحياةِ تباشرهُ باسمِ اللهِ، ولقدْ عدَّ الإسلامُ أعمالًا كثيرةً صالحةً لمْ تكنْ تخطرُ ببالِ النَّاسِ أنْ يجعلهَا عملًا صالحًا وقربةً إلَى اللهِ تعالَى، فجعلَ كلَّ عملٍ يمسحُ بهِ الإنسانُ دمعةَ محزونٍ، أوْ يخفِّفُ بهِ كربةَ مكروبٍ، أوْ يشدُّ بهِ أزرَ مظلومٍ، أوْ يقيلُ بهِ عثرةَ مغلوبٍ،

---

(1) انظر: المعجم المفهرس، عبد الله جلغوم ١/ ١٨٢– ١٨٧.

(2) يتيمة الدهر في تفسير سورة العصر، الشرقاوي ص ٣٦.

(3) مجموع الفتاوى ١/ ١٩٤.

(4) تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ص ٣٨١٨.

أوْ يقضِي بهِ دينَ غارمٍ مثقلٍ، أوْ يهدِي حائرًا، أوْ يعلِّمَ جاهلًا، أوْ يدفعَ شرًا عنْ مخلوقٍ، أوْ أذًى عنْ طريقٍ، أوْ يسوقَ نفعًا إلَى كلِّ ذِي كبدٍ رطبةٍ...جعلَ كلَّ ذلكَ عملًا صالحًا مَا دامتِ النيَّةُ فيهِ خالصةً لوجهِ اللهِ الكريمِ[1].

وممَّا يُستنبطُ منِ اقترانِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ:

- أنَّ الإيمانَ علمٌ وأسٌّ والعملُ بناءٌ، ولَا غناءَ للأسِّ مَا لمْ يكنْ بناءً، كمَا لَا بناءَ مَا لمْ يكنْ لهُ أسٌّ، فإذًا حقُّهمَا أنْ يتلازمَا لذَا قرنَ بينهمَا.
- أنَّ الغالبَ فِي اقترانِ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، الحديثُ بصيغةِ الجمعِ (الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وهذهِ الصِّياغةُ جاءتْ جمعًا فِي المتحدِّثِ عنهمْ وعنْ أعمالهمْ، فهمْ جماعةٌ تبنُّوا تصوُّرًا واحدًا، وأسَّسُوا علَى هذَا التصوُّرِ أعمالًا صالحاتٍ فِي جميعِ مناحِي الحياةِ، يصحُّ أنْ تقومَ عليهَا نهضةٌ حضاريَّةٌ، يقودُ بهَا أهلُ الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ الأمَّةَ إلَى الخيرِ والصَّلاحِ، وكيفَ لَا وهؤلاءِ الذِينَ جمعُوا بينَ الإثنينِ، الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، فانجرَّ عنْ ذلكَ أنْ جُمعتْ فيهمْ كلُّ المواصفاتِ الحميدةِ، فهمْ أهلُ الصبرِ وأهلُ التَّقوَى، وهمْ أهلُ الأخلاقِ والحياءِ وهمْ أهلُ العلمِ والحكمةِ، وهمْ أهلُ الاجتهادِ والبناءِ والتقدُّمِ وسيرُ السَّلفِ خيرُ دليلٍ علَى ذلكَ.
- كمَا ترتَّبَ علَى الإيمانِ والعملِ الصَّلاحِ الفلاحُ فِي الدُّنيَا والآخرةِ، كمَا قالَ تعالَى: {فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ}[القصص: 67]، أي: النَّاجحينَ بالمطلوبِ، النَّاجينَ منَ المرهوبِ[2]، الفائزينَ بمطالبهِمْ منْ سعادةِ الدَّارينِ[3].

---

(1) العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي ص ٥٧ بتصرف يسير.

(2) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ٦٢٢.

(3) فتح القدير، الشوكاني ٤/ ٢١١.

وعليه فإنَّ كلًّا من الإيمان والعمل الصالح مكمِّلان لبعضهما، لكن الإيمان مقدَّم على العمل الصالح، هذا لأن الإيمان من أعمال القلوب، والعمل من أعمال الجوارح، فمع أهمية ارتباط الإيمان بالعمل الصالح، والعمل الصالح بالإيمان إلا أن الأول مقدم على الثاني، فالإيمان مقدم على العمل الصالح لأنَّ عمل القلب مقدم على عمل الجارحة، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

فقد تكون صورة العملين واحدة، ويكون ما بينهما في الدرجة والفضل ما بين السماء والأرض؛ وذلك لتفاضل ما في القلوب.

ونفس الأمر ينطبق على معاصي القلوب ومعاصي الجوارح، فمعاصي القلوب من كِبر وغرور، وإعجاب بالنفس، ورياء، ونفاق، وحسد، والفرح بمصائب المسلمين، واستعظام النفس، واحتقار الآخرين وازدرائهم... فهي أشد وأشد في العقاب من معاصي الجوارح كالكذب، والسرقة، والغيبة والنميمة وغيرها.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: مَن تأمَّل الشريعة في مقاصدها ومواردها عَلِم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميَّز المؤمن من المنافق إلَّا بما في قلب كل واحد منهما؟

وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت، ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان[1].

(**1**) بدائع الفوائد لابن القيم: **287/4**.

العمل الصالح شرط الإيمان:

والذي يظهر لي في آخر هذا البحث؛ أنَّ علاقة الإيمان بالعمل الصلح، علاقة الأصل وشرطه، فالإيمان أصل وشرطه العمل الصالح، فلا تصح صلاة بلا وضوء، كذلك لا يصح إيمان بلا عمل صالح، من ذلك قوله تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى}[آل عمران: 31].

فالحب من أعمال القلوب ولا يكون الحب إلَّا بإيمان خالص، ولكن حبَّهم هذا لم يكن مقترنا بعمل، فاشترط عليهم سبحانه العمل وهو اتّباع الرسول ﷺ والعمل بما أمر به، لا الاقتصار على ما في القلب، فإن كان الأمر كذلك فلا يكون هذا إلا استهتارا أو نفاقا، بل وجب العمل مع الإيمان الذي في القلب كي يتحقق.

وكذلك لا يصح عمل صالح بلا إيمان بل لا يُنظر إليه، فعن أمِّنا عائشة رضي الله عنها قال: يا رسولَ اللهِ إنَّ عبدَ اللهِ بنَ جُدعانَ كان في الجاهليةِ يَقري الضيفَ ويفكُّ العانيَ ويصِلُ الرحِمَ ويُحسِنُ الجِوارَ وأثنَيتُ عليه فهل ينفعُه ذلك؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: لا إنه لم يقُلْ يومًا قَطُّ ربِّ اغفِرْ لي خطيئَتي يومَ الدِّينِ[1].

---

(1) أخرجه أحمد (24892)، وأبو يعلى (4672)، وابن حبان (330) باختلاف يسير.

والعمل الصالح على قسمين:

- **عمل القلب.**
- **وعمل الجوارح.**

فأمَّا العمل الصالح بالنِّسبة للقلب، فهو: الإيمان الخالص من شوائب الشرك والبدعة، وسائر أمراض القلوب، أو يكون صاحب القلب مجاهدا لأمراض قلبه كارها لوجودها، فهذا من أعمال القلوب، التي هي شرط الإيمان.

وأمَّا أعمال الجوارح فهي بدورها على قسمين أيضا:

- **أعمال اللسان.**
- **وأعمال سائر البدن.**

فيصدِّق المؤمن بقلبه تصديقا جازما خالٍ من شوائب الشرك والبدعة، وينطق بذلك بلسان معلنا عبوديَّته لله وحده لا شريك له، ويعمل بسائر جسده في ما أُمرَ به من سائر التكاليف.

الإيمان يزيد بالعمل الصالح:

ومن أسباب ارتباط العمل الصالح بالإيمان، أنَّه به يزيد الإيمان، وبتركه ينقص، فالإيمان يزيد بالطَّاعة، وينقص بالمعصية.

وقال ابن سعدي في شجرة الإيمان وفي كلامه إشارة أنَّ الأعمال الصالحة تزيد الإيمان:

الإيمان يشمل عقائد الدين، وأخلاقه، وأعماله الظاهرة والباطنة. ويترتب على ذلك أنه يزيد بزيادة هذه الأوصاف والتحقق بها، وينقص بنقصها، وأن الناس في الإيمان درجات متفاوتة بحسب تفاوت هذه الأوصاف؛ ولهذا كانوا ثلاث درجات:

- سابقون مقربون، وهم: الذين قاموا بالواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وفضول المباحات.
- ومقتصدون، وهم: الذين قاموا بالواجبات، وتركوا المحرمات.
- وظالمون لأنفسهم، وهم: الذين تركوا بعض واجبات الإيمان، وفعلوا بعض المحرمات، كما ذكرهم الله بقوله: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}[فاطر:32].

وقد يعطف الله على الإيمان، الأعمال الصالحة، أو التقوى، أو الصبر؛ للحاجة إلى ذكر المعطوف؛ لئلا يظن الظان أن الإيمان يكتفى فيه بما في القلب، فكم في القرآن من قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، ثم يذكر خبرًا عنهم.

والأعمال الصالحات من الإيمان، ومن لوازم الإيمان، وهي التي يتحقق بها الإيمان، فمن ادعى أنه مؤمن – وهو لم يعمل بما أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ من الواجبات، ومن ترك المحرمات –، فليس بصادق في إيمانه.

كما يقرن بين الإيمان والتقوى، في مثل قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ}[يونس:62-63].

فذكر الإيمان الشامل لما في القلوب من العقائد، والإرادات الطيبة، والأعمال الصالحة. ولا يتم للمؤمن ذلك حتى يتقي ما يسخط الله من الكفر، والفسوق، والعصيان. اهـ.

وعليه فإنَّ السبب الرئيسي في زيادة ترسيخ الإيمان هو العمل الصالح.

فلو تلاحظ أنَّنا بهذا عدنا إلى مربط الفرس وهو أصل الإيمان الذي هو:

تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.

إذا فإن الإيمان إذا أطلق، دخلت فيه الأعمال؛ لقول النبي ﷺ: "الإيمانُ بضعٌ وستونَ شعبةً – أو بضع وسبعون شعبةً – أعلاهَا قولُ: لا إله إلا اللهَ، (وهذا قول وليس محلُّه القلب) وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، (وهذا عمل بالجوارح) والحياء شعبة من الإيمان"[1].

وعلى هذا فالإيمان أصل، والعمل شرط، ولا إيمان بلا عمل، ولا عمل بلا إيمان.

---

(1) أخرجه مسلم (35).

المحتويات

تمَّ البحث والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات